وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثلجيي بالأغواط
كليةالعلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم التاريخ

الموضـــوع

السياسة التبشيرية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1830- 1916 م

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين

فاطمة كديدة

فطيمة جلاوي

إشراف الأستاذ :

بومدين كعبوش

السنـــــة الجامعيـــــ 2016/2015 ـــة

الحمد والشكر على الختام ومسك الختام هذا العمل المتواضع الذي تهدي ثمرة جهده إلى من بأيدي الآلام وبعيون الأتعاب رعتني ،إلى نبع الصفاء ورمز الوفاء وفيض الحنان إلى أعذب صوت أمي الحبيبة ، إلى الذي مهد طريقي إلى العلم أبي العزيز ،إلى رمز فخري وعزتي إخوتي كل باسمه ،إلى جميع من ساهم في تعليمي من مرحلة الابتدائي إلى الجامعة إلى كل الأصدقاء الذين تعلمت منهم ومعهم في الدراسة والحياة وقضيت معهم أطيب اللحظات.

فطيمة جلاوي □

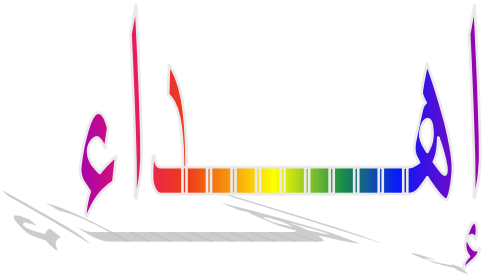

الحمد والشكر على الختام ومسك الختام هذا العمل المتواضع الذي تهدي ثمرة جهده إلى من بأيدي الآلام وبعيون الأتعاب رعتني ،إلى نبع الصفاء ورمز الوفاء وفيض الحنان إلى أعذب صوت أمي الحبيبة ، إلى الذي مهد طريقي إلى العلم أبي العزيز ،إلى رمز فخري وعزتي إخوتي كل باسمه ،إلى جميع من ساهم في تعليمي من مرحلة الابتدائي إلى الجامعة إلى كل الأصدقاء الذين تعلمت منهم ومعهم في الدراسة والحياة وقضيت معهم أطيب اللحظات.

كديدة فاطمة

مقـــدمة

مقدمة:

يعتبر الجانب الديني من الأسس التي ارتكز عليها الاستعمار الاستيطاني عبر الزمن ، و حتى الاستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830م ، لم يخرج عن القاعدة حيث كان الدين هو المعول الذي تضرب به فرنسا على المقومات الروحية و الحضارية للشعب الجزائري ، من أجل تحقيق طموحها الاستعماري على أرض الواقع و إرساء ركائزه ، ضماناً لبقائه في الجزائر الفرنسية .

و قد كان الدين من ضمن السياسة الإستطانية التي لقيت دعماً كبيراً من طرف رجالات الدولة عسكريين و سياسيين و كذا رجال دين ، و خاصة الدور الذي لعبته البابوية في إرساء قواعد هذه السياسة الاستعمارية الفرنسية على أرض الجزائر و قد عملت على إعادة إحياء مجد المسيحية في الجزائر خاصةً و إفريقيا عامة ، و من أجل إعادة المسيحية للجزائر نشطت حركة إرسال جمعيات دينية كاثوليكية للبلاد و تمثل نشاطها في إعادة بعث الديانة المسيحية و نشرها بين الأهالي . و يعود اختيار الإطار الزماني للموضوع من سنة 1830م-1916م إلى كون الأولى تمثل بداية الغزو الفرنسي و ما صاحبه من تخريب و تدنيس و تحويل للمؤسسات الدينية و التعليمية ، و الثاني الذي يمثل نهاية مرحلة هامة من مراحل سياسة التبشير الدينية التي اعتمدت فيها فرنسا على رجال الدين و الفرق و الجمعيات الدينية في تمسيح و تنصير الجزائريين ، و أما عن الإطار المكاني للموضوع و الذي هو محصور في الإقليم الصحراوي الجزائري الذي ركزت عليه فرنسا سياسة الإستطان في الصحراء و طموحها لمدّ النفوذ نحو الصحراء الكبرى و ربط مستعمراتها في أفريقيا جنوب الصحراء .

و تكمن أهمية الموضوع في إبراز مظاهر الغزو الديني و الثقافي للجزائر منذ بداية الاحتلال ، و مختلف الوسائل و الأساليب التي اتخذتها الجمعيات و الفرق التنصيرية لتحقيق الهدف الاستعماري المتمثل في مشروع التنصير و القضاء على المقومات الحضارية و الروحية للمجتمع الجزائري ، كما يبرز أيضاً مدى ازدواجية النشاط العسكري و النشاط التنصيري في تحقيق المشروع الاستعماري .

و اختيار موضوع : السياسة التبشيرية الفرنسية في الصحراء الجزائرية من 1830-1916م كان بناءًا على بعض التساؤلات منها :

ما هي مظاهر السياسة التبشيرية الفرنسية في الجزائر كاملة و في الصحراء خاصة ؟ و كيف كانت العلاقة بين السلطة العسكرية الفرنسية و المؤسسة الكنيسية لتجسيد مشروع الاحتلال ؟ و ما هي الطرق و الوسائل التي اعتمدتها السلطة الاستعمارية ؟ و كيف كان رد فعل الشعب الجزائري من خلال المؤسسات الدينية و كذا موقف أعيان و مشايخ و قادة القبائل ؟ و ما هي النتائج الدينية و السياسية الفرنسية خلال هذه الفترة ؟

و لإبراز معالم الموضوع إعتمدنا الأسلوب السردي الوصفي ، و تم تقسيمه إلى مدخل تمهيدي و ثلاثة فصول ، إلى جانب المقدمة و الخاتمة .

فقد تعرضنا في المدخل التمهيدي إلى الصبغة الدينية للحملة الفرنسية على الجزائر في 1830م حيث تضمن كيف وضعت فرنسا نصب أعينها إعادة مجد المسيحية في أفريقيا انطلاقاً من الجزائر و هذا ما أعطى للحملة الفرنسية صبغة دينية عسكرية مشبعة بروح الحقد الديني و الحروب الصليبية ضد الإسلام و المسلمين .

و قد جاء احتلال الجزائر كهدف سياسي في الأول و هذا من أجل توجيه الرأي العام الفرنسي إلى خارج فرنسا و منها كان السبيل إلى إبراز مظاهر الدوافع الدينية لتنفيذ مشروع الاحتلال .

كما تم التطرق إلى الروح الصليبية للحملة الفرنسية على الجزائر من خلال تصريحات و مواقف رجال الدين المسيحيين إلى جانب تصريحات و مواقف العسكريين و السياسيين الفرنسيين ، و التي برز فيها البعد الصليبي بشكل واضح .

أما الفصل الأول فاستعرضت فيه التبشير الفرنسي في الجزائر و موقف الجزائريين منه الذي تطرقت إلى مراحل الحركة التبشيرية منذ بديتها و الذي ارتبط أولاً بالمؤسسات الدينية المختلفة و خاصة من الأوقاف التي قامت الإدارة الفرنسية بالقضاء عليها لأنها لا تتناسب مع الوضعية الجديدة القائمة في البلاد ، و كذا عمدت إلى تهديم و تحويل المساجد إلى كنائس و متاحف و حتى إسطبلات للخيل ؛ و قد ارتبط تاريخ 24 ديسمبر 1832م عيد الميلاد المسيح و فيه أعلن عن تحويل مسجد كاتشاوه إلى كنيسة أطلق عليها اسم كاتدرائية **القديس فليب** ؛ بعد تأسيس أسقفية الجزائر سنة 1838م في عهد **الأسقف دوبوش Dupuch** (1838-1846م) و الذي

توافدت في عهده عدة جمعيات تنصيرية نشطت في ميادين مختلفة كالتعليم و الطب و غيرها ... ، و ازدادت وتيرت الحملة التنصيرية في عهد خلفه **الأسقف بافي pavy** (1846-1866م) ، من خلال توافد عدة جمعيات تنصيرية إلى الجزائر ، من خلال توافد عدة جمعيات تنصيرية إلى جانب اهتمامه بتبشير و صيانة المؤسسات المسيحية الكنائس ، مدارس مسيحية ... ، أما المرحلة التي عرفت فيها حركة التنصير توسعاً أكثر هي فترة **الأسقف لافيجري Lavigeri** (1866-1892) و ذلك بحكم علاقاته مع الحكام العامين خاصة الحاكم العام **دوقيدون De guydon** الذي قدم دعماً كبيراً للكاردينال .

و اضافة إلى هذا تمّ التطرق إلى شخصية و الدور الكبير الذي لعبه **الكاردينال لافيجري** الذي لُقب فيما بعد بأب المسيحية و هذا منذ مجيئه إلى الجزائر من 1867م و حتى 1892م و كانت مسيرته حافلة بالإنجازات من أهمها تأسيس جمعية مبشري السيدة الإفريقية (الآباء البيض) التي كان لها الدور الكبير في نشاط التنصير ، خاصة في منطقة القبائل و الأقاليم الصحراوية للجزائر ؛ و في هذا الفصل تم التطرق إلى موقف الجزائريين و رد فعلهم اتجاه هذه السياسة الفرنسية ، و قد كان للمشايخ و الأعيان و قادة القبائل وقفة حازمة في وجه المستعمر و سياسته و هذا ما انعكس في الثورات و المقاومات الشعبية . كمقاومة **الأمير عبد القادر** ، **الشيخ المقراني** و **الحداد** و **لالة فاطمة** و غيرهم و كذا دور الزوايا و الطرق الصوفية .

أما الفصل الثاني الذي جاءت فيه السياسة التنصيرية في الصحراء التي شملت المناطق الصحراوية المختلفة انطلاقاً من الخط الشمالي للصحراء الذي شمل كل من بسكرة و الأغواط و البيض و ورقلة و بني ميزاب التي فرضت عليها القوات الفرنسية سيطرتها عليها منذ 1844م ، و قد استمر التوسع الفرنسي في الصحراء إلى غاية وصولها إلى أقاصي الجنوب كبني عباس و أدرار و تيديكلت وصولاً إلى تمنراست.

و إضافةً إلى هذا تعرضنا إلى الفرق و الجمعيات التنصيرية التي نشطت في الصحراء و هي فرقة الآباء و الأخوات البيض الذين انطلقوا في مسيرة تبشيرية في الصحراء و قد سعى **لافيجري** إلى تأسيس مراكز تبشيرية تعتبر كقاعدة انطلاق و قد اعتمد **لافيجري** على فرقة الآباء و الأخوات البيض أين استقروا في مركز ورقلة الذي أسس في 1873م ، حيث تأقلم الآباء و الأخوات هناك

و تعايشوا مع السكان المنطقة أين قاموا بفتح دور للأيتام و مدارس للتعليم و ورشات لتعليم الحرف و الأعمال اليدوية و قد تعرضنا إلى ظروف تأسيس و إنشاء فرقة و قد أعتبر مركز بسكرة مركزاً رئيسياً لانطلاق نشاط الفرقة التبشيري بالصحراء و السودان الغربي على نطاق أوسع . أما فرقة إخوان الصحراء المسلحين التي أسسها **لافيجري** في بسكرة سنة 1891م بغرض مكافحة بيع الرقيق ، هذا في الظاهر لكن هدفها هو تنصيري و حماية الآباء المبشرين أثناء أداء مهامهم في الصحراء و هذا من الحفاظ على حركة التنصير بقوة السلاح ، بعدما أن تعرض المبشرون إلى القتل على أيدي السكان ، و قد حقق هذه الفرقة نجاح كبيرة أين حصلت على اعتراف القوى الأوروبية .

أما عن الطرق و وسائل المتبعة في التبشير و التي تمثلت في التعليم و هو أهم وسيلة ، وضعت لها فرنسا برنامج نظمت فيه أولوياتها و قد اهتمت بها كسياسة تعليمية لإدماج الشعب و ضمان تنشأت جيل موالي مثقف ثقافة فرنسية ؛ و الطب و هو الذي مارس وسط الأهالي أين حمل الممرضون و الأطباء الدواء بيد و الصليب باليد الأخرى ، أين كانت الممرضة تعمل على تخفيف الآلام فحسب بل إيصال رسالة السيد المسيح إليهم و إقناعهم بضرورة اعتناق المسيحية ، و حتى الأعمال الخيرية كان لها دور كبيرة في نشر المسيحية من خلال إيواء اليتامى و الاهتمام بهم خاصة إثر مجاعة 1867م ، و تقديم المساعدات المالية و الهدايا للأطفال و النساء و حتى الصبيان من أجل استمالتهم و كسب ودهم و ثقتهم و في الأخير إقناعهم بضرورة اعتناق المسيحية .

أما الفصل الثالث و الأخير الذي تناول في سطوره نشاط **الأب دي فوكو** في أقصى الجنوب منذ 1901م و حتى 1916م ، وقد قضى هذه الفترة بين بني عباس و تمنغست أين مكث في بني عباس من 1901م وحتى 1905م و في أواخره انتقل للعيش في تمنغست التي استقر بها حتى وفاته ، حيث مكث بين قبائل الطوارق الذين قاسمهم حياتهم و تعلي لغتهم و تعايش معهم محاولاً بذلك كسب ودهم و ثقتهم من أجل إقناعهم بالاعتقاد بالعقيدة المسيحية و اعتبارها الديانة الهادية إلى طريق الجنة ، أما الختمة فتناولنا فيها أهم الاستنتاجات المتواصل إليها و محاولة الإجابة على الإشكالية المطروحة .

-مصادر و مراجع الدراسة :

اعتمدنا في إنجاز هذه الذكرة على مجموعة من المصادر ك :

René BAZIN , **Charles De Foucauld explorateur du Maroc Ermite au sahara** ,Plon , Paris

- GRANDIDIER(G) , Note sur Ouksem berbere saharien , Revue d'Ethnographie et de la sociologie , Institut Ethnographique international de Paris

شارل دو فوكو ، رجل يبحث عن الله ، ترجمة داود داود .

كما تم الاطلاع على بعض الوثائق التي تخص الموضوع و هي عبارة عن صور و نصوص لقوانين ، و خرائط ، أما عن المراجع التي كانت مادة أولية في موضوع البحث نذكر منها :

-بقطاش خديجة ، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871م .

-سعيدي مزيان ، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري 1867-1892م .

-محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904م ، دراسة تاريخية تحليلية .

- حسن مرموري ، الطوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين .

- إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934م .

-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م .

و كتب أخرى .

إلى جانب مجموعة من المقالات التي كانت مادة أولية في إنجاز هذا الموضوع ، منها مقال :

-عبد الجليل التميمي : الذي قدم فيه عرضاً حول (التفكير الديني و التبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19م .

-شاوش حباسي : الذي تناول (من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962م) .

و من الصعوبات التي واجهتنا في الموضوع هو شساعة منطقة البحث و صعوبة الوصول إلى المصادر التي تخص الموضوع .

و في الأخير أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف كعبوش بومدين ، و كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة .

مدخل تمهيدي:
الصبغة الدينية للحملة الفرنسية على الجزائر

وضعت فرنسا عندما فرضت حصارا بحريا على الجزائر في 1827م نصب أعينها إعادة مجد المسيحية في افريقيا و هذا ما أعطى للحملة الفرنسية صبغة عسكرية دينية مشبعة بروح الحقد الصليبي و الحروب الصليبية ضد الإسلام و المسلمين ، إن العامل الديني للاحتلال نلمسه من الدور الذي لعبه رجال الدين في الحملة، بحيث أن قرار شارل العاشر في الغزو كان مدفوعا من الأسقف الكبير وزير الشؤون الدينية فريسنوس الذي كان من ورائه روما ، و كذلك تشجيع و مساعدة الوزراء لذلك فقد عبر كليمون تونير وزير الحربية في تقرير قدمه للملك شارل العاشر يوم 14 أكتوبر 1827م عن أماله في تنصير الجزائر بما يلي: " يمكن لنا في المستقبل ان نكون سعداء و نحن نمدن الأهالي و نجعلهم مسيحيين" و كليمون تونير يرى انه ليس من الغريب أن تكون العناية الإلهية مع الملك لان عمله هذا في سبيل الدين، و أكد الملك شارل ذلك حينما خاطب كل أساقفة المملكة قائلا لهم: «*...إن مرادنا أن تنظموا صلوات في جميع الكنائس داعين الله أن يحمي الراية و يعطينا النصر...*»[1]

إن الرغبة في الانتقام للمسيحية على حد تعبير أحد العسكريين الفرنسيين يعد تفسير آخر للهجمة العسكرية على الجزائر 1830م و هو ما تعبر عنه التصريحات الرسمية الفرنسية بعد انتصار هذه الحملة، كما ان العلاقة التي كانت تميز رجال الدين المسيحيين[2] و العسكريين الفرنسيين، هي الأخرى مظهر من المظاهر التي تؤكد على البعد الديني التنصيري للحملة الفرنسية على الجزائر، و من هذه التصريحات دعوة وزير البحرية الفرنسي كليمون تونير للقيام بغزو الجزائر في قوله :«*.. إن العناية الإلهية تدعوا للانتقام في نفس الوقت لدين الملك شارل العاشر لا للإنسانية، و إهانة المسيحيين ...إنني أتوسل لجلالتكم باسم أغلى مصالح الوطن ... أن تعزموا على الانتقام للمسيحية ... "، و في نفس الوقت الاتجاه الصليبي يعتبر رئيس وزراء فرنسا بولينياك أن سقوط الجزائر في أيدي الجيش الفرنسي سيجلب أجل الخدمات، و أكبر الفوائد للمسيحية جمعاء...*»[3].

و حتى يهيئ الملك شارل العاشر الرأي العام الفرنسي لغزو الجزائر و يثير في الجيش الفرنسي الروح الدينية و الوطنية، أعلن في خطاب العرش الملكي بتاريخ 02 مارس 1830م (أي قبل

---

[1]- خديجة بقطاش، **الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871**، دار دحلب، الجزائر، 1977،ص 17-18.

2 عبد الجليل التميمي، "التفكير الديني و التبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن "19، المجلة التاريخية المغربية، العدد 1 تونس، 1974، ص 13

3- نفسه ، ص 13

شهرين و نصف تقريبا من إطلاق الحملة من ميناء طولون) أن الهدف الذي يرمي إلى تحقيقه من الحملة الفرنسية «... ***يجب أن يرضي شرف فرنسا و يرجع بفضل العناية الإلهية بالفائدة على المسيحية...***»[1].

كما تظهر النزعة الصليبية بشكل واضح من خلال ترسانة القساوسة التي رافقت قائد الحملة دي بو رمون و المتكونة من ستة عشر قسيس، من بينهم الأب زكار و أخ قديس بيت المقدس، الأول يقال أنه يتقن اللغة العربية و بذلك قام بدور المترجم للقساوسة الآخرين و هذا يدل دلالة واضحة على أن النشاط العسكري و النشاط الديني كانا متلازمين خلال هذه الحملة، و نظرا للعناية الخاصة التي يتمتع بها رجال الدين لدى رجال البلاط الفرسي، فقد خصهم قائد الحملة دي بورمون بتصريح خاص بعد دخوله مدينة الجزائر في قوله: «***...إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في افريقيا و لنأمل أن تينع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع...***» [2].

و بعد أن استسلمت الحكومة في 05 جويلية من نفس العام، ثم أمضى كل من الداي و رئيس الدولة الجزائرية و الكونت دي بورمون القائد الأعلى للجيش الفرنسي معاهدة تعرف باتفاقية الجزائر، و قد نصت المادة الخامسة من هذا الاتفاق على ما يلي:

- حرية العمل بالدين الإسلامي، ضمان حرية جميع الطبقات و الأديان و الممتلكات و التجارة و الصناعة، و احترام كامل للمرأة الجزائرية.

أما المادة 02 فقد نصت على احترام على التقاليد الجزائرية، و على أن لن يؤذن للجنود الفرنسيين بدخول المساجد الجزائرية، و على هذا وعدت فرنسا الجزائريين بحرية الدين و احترام المرأة، و الممتلكات و التقاليد التي لا شك أنها شملت اللغة و الرموز الوطنية للبلاد باستثناء السيادة[3].

---

1 – التميمي، المرجع السابق ، ص 13

2 – شاوش حباسي، "من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830–1962"، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 10، الجزائر، 1997، ص 78

3- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900**، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1992، ج 1، ص 18.

و بعد يومين فقط من إمضاء معاهدة القصبة[1] بين الجنرال دي بو رمون و الداي حسين إثر سقوط مدينة الجزائر و التي نصت صراحة على احترام الديان الإسلامية و ضمان حرية ممارستها نصب الجنرال يوم 06 جويلية الصليب على أعلى بناية بالقصبة في حفل مهيب. و قد كتب شاهد عيان فرنسي يدعى stefen d'estry يصف هذا الحفل: «*...عادت المسيحية من جديد للاستحواذ على بلد كانت من قبل مزدهرة به (يقصد الفترة الرومانية بالجزائر)، و قد قام قسيس بمراسيم الحفل الديني فانحنى الجنود و هم في غبار انتصار الليلة السابقة، حباهم مكشوفة للإله مانح الانتصار في المعارك و كانت التضحية توحي بالعودة إلى الحرية و الحضارة...*»[2].

كما أمر "دي بو رمون" في 11 جويلية 1830 بإقامة الصلاة في الساحة الرئيسية للقصر و هو الوقت نفسه الذي كان فيه بباريس، وكنب إلى أسقفها الملك "شارل العاشر" حاضرا لأداء الصلاة في كنيسة سيدتنا الافريقية d'afrique notre Dame العبارات التالية: «*...سيدي الأسقف، اعتمادنا على العناية الإلهية لم يخيب أملنا، السماء باركت جنودنا و انتصرت العدالة، و الدين، و الإنسانية و سقطت الجزائر. الخلود الأبدي إلى كل القوى التي توجت بهذا النصر المبين، نفتخر بانتزاع أفريقيا...*»[3].

و لم يكتفي دي بو رمون و بقية المسؤولين العسكريين الفرنسيين بهذا بل كانوا يشعرون بوجوب القضاء على "بربرية" الجزائريين و إسلامهم و احتلال المسيحية مكانها. فقد وجب حسب كولي "ضم المستعمرة الجديدة تحت راية الصليب" و على هذا الأساس أمر دي بو رمون بتحويل المساجد إلى كنائس و إلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية و فسح المجال للمبشرين لإرجاع هذا الشعب إلى حضيرة الدين المسيحي في زعمهم[4].

---

1 – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1992،ط 4، ج 1، ص 18.

2 – حباسي، المرجع السابق، ص 78.

3 -Pierre (P): **main basse sur Alger**, Edition chihab, Alger-2004-P106

4 حباسي، المرجع السابق، ص 79

كل هذا يوضح الطابع الصليبي للحملة الفرنسية على الجزائر و مدى الإصرار على نشر المسيحية في الجزائر و استرجاع مجدها في افريقيا حسب تعبيرهم حيث تعتبر فرنسا نفسها الأحق في رفع راية المسيحية و نشرها في افريقيا من جديد.

الفصل الأول : التبشير الفرنسي في الجزائر و موقف الجزائريين منه□

-1- مراحل الحركة التبشيرية□

.1-1-المرحلة الأول من1830إلى1845□

.1-2-المرحلة الثانية من1845إلى1866□

.1-3- المرحلة الثالثة من 1867إلى1892□

- □- الكاردينال لافيجري و دوره في سياسة التنصير□

.2-1- شخصيته□

.2-2- نشاطه□

. □-□-أعماله و إنجازاته□

.3- موقف الجزائريين من الحركة التنصيرية□

.3-1- موقف الأعيان ومشايخ القبائل□

.3-2- موقف الزوايا و الطرق الصوفية □

مع سقوط الجزائر و توقيع معاهدة الاستسلام شرعت فرنسا مباشرة في تطبيق سياستها التنصيرية في الجزائر و إن البعد الديني لا يشكل سوى واحدة من المنطلقات التي حكمت سياسة فرنسا الاستعمارية بالجزائر و حددت نظرياتها في الإدماج، فعلى امتداد الفترة الأولى للاحتلال من 1830-1916 و طوال هذا ظل شعار فرنسا المركزي متمحور حول الإلحاق الكلي للجزائر و ربطها عسكريا و اقتصاديا و ثقافيا بدولة (المتروبول) حيث اعتمدت سياسات كثيرة من بينها السياسة التبشيرية [1]في الجزائر بهدف تنصير الشعب الجزائري و معها يسهل عليها دمج المجتمع بالدولة الفرنسية و بالسلطة المركزية بباريس.

1- بداية الحركة التبشيرية:

استهلت فرنسا سياستها التبشيرية لمجرد دخولها إلى الجزائر و منذ اليوم الثاني 06 جويلية 1830 من توقيع معاهدة الاستسلام شرعت السلطة الفرنسية في الكشف عن الوجه الثاني لحملتها من خلال اقامت مراسيم و احتفالات أقيمت فيها الصلوات و الشعائر الدينية في ساحة القصبة معلنة عن النزعة الصليبية.

1-1- المرحلة الأولى من 1830-1845: سعت فرنسا من الوهلة الأولى لدخولها إلى الجزائر إحكام قبضتها على كل الجوانب الحياتية التي تخص الجزائريين و خاصة منها الجانب الديني؛ و من المبادرات الأولى التي قامت بها السلطة الفرنسية في الجزائر محاولاتها في تمسيح الوسط الجزائري أولا، و من ذلك تدخلها في شؤون الوقف سعياً للقضاء عليها، لأنها لا تتناسب و الوضعية الجديدة للوجود الفرنسي. ثم تهديمها للمساجد و تحويلها إلى كنائس بحجة إقامة الشعائر الدينية المسيحية بها. و كانت بذلك تطمح في خلق جو جديد للسكان يساعدها على التبشير و أحسن مثال لهذا التصرف ما صنعته بمسجد كاتشاوة في مدينة الجزائر عند ما حولته إلى كنيسة القديس فليب؛ و لقد تم تحويل هذا المسجد إلى كنيسة في عهد الدوق دوروفيقو حيث أعطى الأمر للجيش احتلال المسجد بالقوة يوم 17 ديسمبر 1831.

1 - أمحمد مالكي، **الحركات الوطنية و الاستعمارية في المغرب العربي**، ط 1، بيروت، لبنان، 1993، ص 158

لقد اختار القسيس كولان يوم 24 ديسمبر 1832م أي مناسبة عيد ميلاد المسيح لمسيح المسجد و جعله كاتدرائية القديس.[1] فليب و بمناسبة هذا الحديث، بعثت الملكة "اميلي" زوجة "لويس فليب" بهدايا، و هي عبارة عن زخارف للكنيسة الجديدة أما الملك فقد أرسل ستائر من القماش الرفيع و يبعث البابا "غريغوار السادس عشر" تماثيل للقديسين للتبرك بها، و أعرب عن امتنانه و شكره للذين قاموا بهذا العمل.

و استمر نشاط السلطات الفرنسية و عمل المبشرين في تحويل المساجد إلى كنائس و هدم البعض الآخر من أجل بعث الرسالة التنصيرية في أوساط المواطنين المحليين؛ حيث و ابتداءً من أوت 1838 اتفق البابا "غريغوار السادس عشر" (1830-1848) و الملك "لويس فليب" (1830-1848) على تأسيس أسقفية الجزائر و تعيين "أنطوان أدوف دو بوش" أول أسقف بالجزائر بأمر ملكي مؤرخ في 25 أوت 1818م مما شكل إيذاناً رسمياً بمباشرة العمل التبشيري فأمضى هذا الأخير ثمانية سنوات من الكد و الاجتهاد من أجل تنصير الجزائريين تمركزاً على أربع مبادئ:

1. تكثيف الإرساليات التبشيرية المسيحية عن طريق الجمعيات الدينية التي توافدت على الجزائر تباعاً؛
2. التركيز على تنصير الأطفال اليتامى، بعدما فشلت كل المحاولات لإخراج من دينهم؛
3. ممارسة التبشير في المستشفيات لكون حجرة التحريض توفر فرصاً مناسبة لنشر بذور الدعوة في قلوب المرضى؛
4. إنشاء الكنائس و (الخورنيات) لاستقطاب سكان المستعمرة[2].

جاء الأسقف "دي بيش" 31 ديسمبر 1839م متحمسا للمسيحية بدفعة في ذلك طموحه في إحياء الكنيسة الإفريقية و إلى تنصير السكان، و قد عبر عن ذلك قائلا :«... ***يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي ... و ينبغي علينا أن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين بالخدمات الخيرية...***».

---

1 - بقطاش، المرجع السابق، ص31-32

2- سعيدي مزيان، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1862-1897**، ط 1، دار الشروق للطباعة و النشر، الجزائر،2009

و الأسقف يتفق مع الملك "لويس فليب" في أن تنصير العرب أمر لابد من، حتى تتم رسالة فرنسا الحضارية على أحسن وجه في الجزائر. و على هذا الأساس بدأ الأسقف عملية التبشير في وسطه بإعطائه 20 ف أسبوعياً لكل من جاء ليسمع التلاوة الدينية بالكنيسة، و بعد خمسين فرنكا لكل من يقبل التعميد[1].

أما عن الجمعيات التبشيرية التي وفت إلى الجزائر خلال هذه المرحلة تسع جمعيات أغلبها إسْتُقدِم من طرف المطران "دي بيش" و هذه الجمعيات هي:

1. **جمعية الجزويت (الآباء اليسوعيون)**:استقدم "دي بش" بعض الآباء اليسوعيين، كما أندس بعضهم في صفوف الجيش كمرشدين، و قد أسندت إليهم مهمة إدارة ملجأ اليتامى الأوروبيين بابن عكنون سنة 1842م بينما راح بعضهم يجوب القرى لتأدية الشعائر الدينية، و تقديم دروس في التبشير و في نفس السنة استقر البعض منهم بقسنطينة حيث اهتموا بالعلاج و الإرشاد في المستشفى الإسلامي بالإضافة إلى وهران حيث اسسوا فيها كوليجا ضم حوالي 1500 تلميذاً كما أسسوا كوليجا آخر بالجزائر العاصمة[2].

و يذكر الأب ريغو رئيس الفرقة أنه وجد هو و زملاؤه إعانة مادية من الأسقف بحيث كان يعطي لكل مبشر 2000 ف من الميزانية التي تخصصها الحكومة للشؤون الدينية بالجزائر. و لم يُخفِ المبشرون اليسوعيون نواياهم التبشيرية، فقد قال الأب "جوردان" مسؤول الفرقة بمدينة ليون: «*...إن الغرض من رسالتنا في أفريقيا هو تنصير العرب...*»[3].

2. **أخوات القديس جوزيف دي لبارسيون**: حضرت إلى الجزائر في جويلية 1835م و استقر بِهن المقام في كل من العاصمة و عنابة، اشْتَغَلنَ بتربية اليتيمات الأوروبيات ثم غادرن الجزائر إلى تونس نهائياً سنة 1845م على إثر سوء تفاهم بين رئيسة الجمعية و المطران "دي بيش"[4].

---

1 - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 52-53.

2 - محمد طاهر وعلي، **التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1940، دراسة تاريخية تحليلية**، دحلب، الجزائر، 2009، ص 35.

3 - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 60.

4 - محمد طاهر وعلي، المرجع السابق، ص 35.

3. أخوات العقيدة المسيحية: تأسست في 1716م بمدينة تول لتعليم البنات الأيتام من طرف جون باتيست فاتلو بكتدرائية تول. وفد أعضاء هذه الجمعية إلى مدينة الجزائر بتاريخ 21 مايو 1841م بدعوة من المطران "دو بوش" اشتغلن في ميدان التعليم و الصحة، و استقرت بعدها هذه الجمعية في كل من عنابة و قسنطينة و سكيكدة و كانت تتحكم في أكثر من 18 مؤسسة بين مدارس و مراكز للأيتام و المستشفيات ي [1].

4. **الرهبات الثالوثيات:** حضرن إلى الجزائر بتاريخ 26 نوفمبر 1840م و استقر بهن المقام بوهران و اشتغلن بالتعليم حيث أشرفن ابتداءً من سنة 1849م على إدارة المدارس البلدية و هذا إلى غاية صدور قانون 30 أكتوبر 1880م الذي يمنع أعضاء الجمعيات التبشيرية من التعليم في المدارس العمومية[2].

5. **أخوات القديس فانسان دي بول أو (بنات الإحسان):** و قد أدرن شؤون التعليم العمومي في الكثير من المناطق من البلاد وما يلاحظ عنهن هو استقرار فوج منهن في بسكرة و ذلك ابتداءً من سنة 1868م.

6. **راهبات الباستور الطيب:** اللاتي أسسن ملجأ الباستور الطيب في الجزائر سنة 1843م و معبد قسنطينة سنة 1855م.

7. راهبات القلب المقدس: اللائي أسسن مدرسة لاستقبال بنات ضباط قوات الاحتلال في العاصمة كما كانت لهن مدرسة للبنات الفقيرات و بنات الضواحي. و بنظام داخلي تضم ما يصل إلى 90 طفل، كان ذلك في سنة 1842م.

8. جمعية الترابست: حضروا إلى الجزائر ستة 1843م، حيث منح لهم دير في اسطوالي بضواحي مدينة الجزائر و اشتغلوا بفلاحة الأرض و تربية الحيوانات، و قد بلغ عدد رهبان هذه الجمعية إلى 108 راهب.

---

[1] حميد قريتلي، **البعد الديني في السياسة الفرنسية في الجزائر (1830–1907)**، مذكرة ماجيستير ، جامعة الجزائر، 2010، ص 66.

[2] محمد طاهر وعلي، المرجع السابق، ص36

9. إخوان القديس جوزيف دي مانس: استقروا بعنابة و سكيكدة و وهران سنة (1843-1844م) و تولوا إدارة المدارس البلدية بالمدن المذكورة و التي كان يصل عدد التلاميذ بها إلى 270 تلميذ[1].

لقد توافد على الجزائر على مدى 61 سنة (1830-1891م) عدد كبير من الجمعيات البروتستانتية منها الجمعيات النسائية و الرجالية، و منها من أوفدت فرعاً لها من تأسست في الجزائر حيث يرى أنن ارتفاع عدد الجمعيات التبشيرية في هذه المرحلة يعود إلى العوامل التالية:

1- مجيئ الفرصة التي كان يتحينها المبشرون للعودة إلى الجزائر و شمال افريقيا عموماً، و هي دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر لتبليغ تعاليم الكنيسة للمسلمين بعد ما فشلت جمعياتهم المختلفة في العهد العثماني، قبل الاحتلال.

2- ارتفاع عدد الجمعيات التبشيرية في هذه المرحلة تدعوا إلى نوايا "المطران دي بيش" التبشيرية في الجزائر، حيث لا يمكن أن يحقق تلك النوايا إلا بأعداد كبيرة من النساء و الرجال المبشرين.

3- الزيادة المطردة للمستوطنين الأوروبيين في الجزائر و تعدد جنسياتهم و ما يتطلب ذلك من أداء الشعائر الدينية و الإشراف على تربية الأطفال تربية مسيحية.

4- طبيعة الاستعمار الفرنسي الذي لا يكتفي بالجانب الاقتصادي فقط بل تعداه إلى حدٍ يريد أن يجعل من الجزائر بلداً ذا شعب واحد و ديانة واحدة، هي الديانة المسيحية أي القضاء على الإسلام و إحلال الديانة المسيحية محله.

لقد لجأت فرنسا إلى محاولة غرس مفاهيم جديدة منها أن التواجد الفرنسي قد جاء من أجل نشر الحضارة و التمدن حيث قامت بتكثيف الإرساليات التبشيرية و كذا ضرورة تنظيم الشؤون الجزائرية في ظل الدين الجديد المسيحية و هذا من خلال الجهود المبذولة من طرف الجمعيات التنصيرية الوافدة إلى الجزائر.

أما عن تنظيم المؤسسات المسيحية في عهد الأسقف "دي بيش" خلال الفترة الممتدة ما بين 1839-1846 م فكان على الشكل التالي:

- مقاطعة مدينة الجزائر: أكثر من 27 خورنية.

[1]- محمد طاهر وعلي، المرجع السابق، ص36.

- مقاطعة وهران: أكثر من 15 خورنية.
- مقاطعة قسنطينة: أكثر من 13 خورنية.

أما عن دور رجال الجيش العسكريين و مدى دعمهم للحركة التنصيرية بالجزائر نذكر الجنرال "بوجو" الذي ساند رجال الدين اليعاقبة (Jeuites) المتواجدين في الجزائر و كذا (Trappustes) القادمون إليها في عهده مساندة معنوية قوية و مادية سخنة فقد استقبل Trappustes في قصر الحكومة يوماً واحداً بعد نزولهم على أرض الجزائر 13 أوت 1843م، ثم قدم لهم إعانات عينية و مادية تمثلت في 1.020 هكتار، و دعم مالي قدر 62.0000 فرنك و أغراض عينية أخرى. بل خصص خمسين جندياً من السجناء لخدمتهم، كما زودهم بمجموعة من الثيران و البقر و الخرفان 118 رأس. و كان بوجو يحضر حفلاتهم الدينية و في إحدى هجماته على مدينة بوفاريك، أسر "بوجو" 250 طفلا و قدمهم إلى الأب بورمو طالباً منه أن يربيهم على المسيحية: "إنهم يتامى لُقِطوا من ساحة الوغى، ربوهم و اجعلوهم مسيحيين". و قد كان للجنرال بوجو علاقات حميمية ودية و العطف المتبادل بالأسقف "دو بوش"[1].

و يمكن التساؤل، بعد هذه الإنجازات التي قام بها الأسقف "دو بيش": هل استطاع أن يكسب الأهالي و يقضي على الإسلام؟ و هو الذي صرح بعد تعيينه على رأس اسقفية الجزائر بما يلي: «*... إن وجود الإسلام قد انتهى، و بعد نصف قرن لن يبقى له أثر إلا عند الهمجيين و ستبعث به أوروبا إلى الصحاري التي لجأ إليها لينقرض هناك، و هكذا ستستكمل مشروعها الذي بدأت في تنفيذه أثناء الحروب الصليبية...*».

لكن الوقائع التاريخية أثبتت عكس أمنيات الأسقف دو بوش التي أصبحت من الأماني الكاذبة، بعد أن غرق في الديون، و أحدث عجزاً في ميزانية الأسقفية أدت به إلى إعلان الاستقالة في 09 ديسمبر 1845م، غير أن مقرضيه لم يكفوا عن مطالبته بتسديد ديونه، و على إثر ذلك قام البارون فيالار (Vialar) بتهريبه إلى مدينة طولون ثم إلى إسبانيا ليتم نقله إلى فرنسا سنة 1851م. و يستقر أخيرا بمدينة بوردو إلى أخر حياته[2].

1 شاوش حباسي، المرجع السابق، ص 88.

2 خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 64.

1-2- المرحلة الثـــــــــــانية من 1846-1866م :

كان خليفة الأسقف "دي بيش" في النشاط التبشيري هو الأسقف لويس أنطوان باقي الذي حل بالجزائر يوم 10 جويلية 1846م ، و هذا بموجب مرسوم ملكي مؤرخ في 26 فيفري 1846م ؛ و "باقي" يختلف عن الأسقف "دي بيش" بعض الاختلاف، فإذا كان سابقه يتميز بالاندفاع في الأمور و العناد مع بعض العسكريين فإن باقي كان ديبلوماسياً، و أول شيء قام به هو ربطه علاقات حسنة مع السلطة[1] العسكرية حتى يتمكن من نشر رسالته. و قد استطاع أن يشغل عطف الجنرال بيجو عليه و على رجال الدين. فبدأ نشاطه الخيري بتخصيص يوم الاثنين من كل أسبوع لتوزيع الصدقات على المعوزين من المسلمين، فلقد عرف عهده نمو المؤسسات الدينية و خاصة إنشائه للمدرسة الاكليريكية الكبرى بالقبة و المدرسة الاكليريكية الصغرى بسانت أوجين (بولوغين) لتكوين الكهنة و القساوسة في مكان القنصلية الفرنسة القديمة قبل الاحتلال[2] حيث وصل عدد الكنائس إلى 29 كنيسة، بالإضافة إلى مؤسسات أخرى ذات طابع تعليمي اجتماعي كالمدارس المسيحية و ديار الأيتام و غيرها التي كان يفوق عددها 23 مؤسسة، و هذا يعود إلى الميزانية المالية التي خصصتها الحكومة الفرنسية من أجل بعث النشاط التنصيري ، و دعم الكنائس و الرهبانو مختلف الجمعيات التنصيرية ، حيث تم تخصيص مبلغ مالي تصل قيمته إلى 71029فرنك سنة 1846م[3].

كما أولى اهتماماً بالغاً لعملية تنصير الجزائريين من خلال معاشرتهم و الحديث معهم حول القرآن و الإنجيل ، فبدأ يكتب لهم الرسائل المطولة بأسلوبهم و يروي لهم و يحدثهم . تماشياً مع استراتيجية سلفه ديبيش.

لم يتوانى باقي البتة في تعميد الأطفال الجزائريين الذين لم يبلغوا العاشرة من عمرهم أمام الرهبان و مفتشي الشرطة ، كما انتهج نهجه في بناء الهياكل الدينية المسيحية لإطفاء الصبغة المسيحية على الجزائر ، و لعل أبرز عمل قام به في هذا الميدان منح البركة لأول حجرة لبناء كتدرائية السيدة

1-خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 64.

2- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 16.

3- حميد قريتلي ، المرجع السابق ، ص.69

الإفريقية Noter dam D'afrique ، كما أنه شارك في أعمال الحفر الأولى ، مما يشكل تطبيقاً عملياً لكلمات "فيكتور هيغو " إن الكاتدرائية عبارة عن إنجيل يتكلم "[1]

و تمثل سنة 1847م. في نظر الفرنسيين سنة استسلام "الأمير عبد القادر" للسلطة الفرنسية و نهاية حرب بمثابة جهاد ديني بالجزائر[2] ؛ حيث قال المؤرخ كيلر أن :«... ***العناية الإلهية أرادت أن يسلم عبد القادر (الأمير) سيفه إلى الذي هزمه فعلاً ... (أي دي لامورسيير) و كان يمثل حقيقة المقابل المسيحي المنتصر على الإسلام و الحضارة مروضة البربرية...*** »، و لهذا أراد الأسقف أن يغتنم هذه الفرصة للقيام بزيارة إلى المناطق الداخلية كان الهدف منها هو التبشير ، و على هذا الأساس أعدّله الجنرال "ماري مونج" قائد قطاع التيطري في ديسمبر 1847م جلسة بمدينة المدية مع ستة و عشرون مسلماً ، معظم من الشيوخ ، و من بينهم المفتي "حاج قارة" و تناولت هذه الجلسة مسائل دينية استهدف الأسقف منها تقريب المسيحية إليهم ، لكن المفتي و الشيوخ لم يقتنعوا بأفكاره ، و قال له المفتي :"أنت على حق ، أتبع دينك و نحن لنا ديننا" ، و من النشاط التبشيري الذي كان يقوم به الأسقف بافي الطعن في الإسلام ، و يتفق المؤرخ "بورنيشون" مع الأسقف في ذلك حين يقول :«... ***و لتجزئة الكتلة الإسلامية ، لابد من تنظيم خاص ، و جيش من الرجال ، إذ ينبغي أولاً و قبل كل شيء تعلم اللغة العربية ، عن طريق تكوين مدرسة دينية لتقوم بهذه العملية الكبرى . و تعلم اللغة العربية في نظر المبشرين أمر ضروري يمكنهم من التقرب إلى المسلمين ، و فهم واقعهم...***»[3] .

كما نسق "بافي" عمله التبشيري مع الجمعيات الدينية بإشرافه على نشاطها ، فنظم الاكليروس و أخذ نظاماً دينياً خاصاً بتقاعد المبشرين ، كما فرض اللحية عليهم حتى لا يثيروا إحساس الجزائري الذي كان يسأم من الرجل الحالق وقتئذ.

1-سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص16.

2- خديجة بقطاش ، المرجع السابق ، ص64.

3-نفسه ، ص65.

أما عن الجمعيات التبشيرية التي وفدت إلى الجزائر في عهد الأسقف بافي هي :

1-إخوان العقيدة المسيحية : و لقد سمح لهم في سنة 1853م بتأسيس مدارس في كل مناطق البلاد (الجزائر ، البليدة ، وهران ، سيدي بلعباس ، قسنطينة)[1]

2-إخوان المدارس المسيحية : هذه الجمعية وفدت إلى الجزائر بطلب من الأسقف **بافي** بعد صدور مرسوم 24 جويلية 1852م[2] ، أداروا المدارس البلدية في الفترة الممتدة من 1854م إلى 1888م في كل من الجزائر و وهران و البليدة ، قسنطينة ، و تلمسان ، و سيدي بلعباس ، و مستغانم ، و مليانة ، و سكيكدة ، و عنابة ، كما أنهم أداروا ملجأ يتامى المجاعة الجزائريين ، الذين جمعهم **المطران لافيجري** في ابن عكنون و الحراش ابتداءً من سنة 1868م[3].

3-**أخوات الإحسان** : تم استدعاء هذه الجمعية من طرف **الأسقف بافي** حيث وصل أعضاءها إلى وهران بتاريخ 22 افريل 1855م ، و تجمعوا بمستغانم سنة 1859م ؛ و من الخورنيات التي أنشأتها هذه الجمعية خورنيتان بوهران تضم 45 راهباً ، و أخرى في كل من مستغانم ، سيدي بلعباس ، غليزان ، معسكر ، تلمسان[4] ؛ كما نشط أعضاء هذه الجمعية في إسعاف المرضى و تقديم المساعدات الطبية في المراكز الاستشفائية التي قامت السلطات الفرنسية بإنشائها في مختلف المناطق ، الجزائر ، وهران ، عنابة ، قسنطينة[5]

1- محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص37.

2- حميد قريتلي ، المرجع السابق ، ص71.

3- محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص37

4- حميد قريتلي ، المرجع السابق ، ص71.

5- محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص37.

إن الملاحظ في هذه المرحلة هو تضاءل قدوم الجمعيات التبشيرية إلى الجزائر حيث بلغ عددها ثلاثة فقط. إلا أن ذلك صاحبه تدعيم الجمعيات المختلفة بإعداد هامة من الأعضاء ، رجالاً و نساء ، ففي الوقت الذي كان فيه عدد الرهبان و الراهبات زهاء المئتين 200 سنة 1846م ، ارتفع هذا العدد ليصبح قرابة مئتين و ألف 1200 و هذا بسبب :

-أن الجمعيات التي قد استقرت من قبل في البلاد دعمت فروعها في الجزائر بأعداد أخرى من الأعضاء ، و هو الأمر الذي لا يستدعي استقدامهم من فرنسا و قد أنشئ لهذا الغرض السمنار الكبير بالقبة لتكوين القساوسة في الجزائر[1].

ليصل عدد جميع الجمعيات التبشيرية في هذه المرحلة إلى اثنا عشر جمعية تنصيرية في الجزائر وضعت نصب أعينها نشر المسيحية و تنصير المجتمع الجزائري و القضاء على هويته الإسلامية العربية من أجل دمجه في الكيان الفرنسي و اعتبار الجزائر المقاطعة الفرنسية الثالثة.

و أما عن رجال الجيش و الحكام العامين و الدور الذي لعبه هؤلاء في سياسة تبشير و تنصير الفرد الجزائر نذكر منهم "الجنرال لامورسيير" يريد أن تنتصر في الجزائر : "إن الصراع العملي للحضارة المسيحية ضد البربرية الإسلامية بضرورة انها في كل حين ، سيصبح أكبر اهتمام في حياته.....، إن اتصاله بالمسلمين نفسه قد أعاده تدريجياً إلى العقيدة الكاثوليكية ركيزة المجتمع الفرنسي ، و القادرة وحدها على إدامة العائلة و تأسيس الحرية السياسية و المدنية و الضامنة لتفوقنا على العرب".

و معلم أن "الجنرال لامورسيير" قد تولى قيادة جيوش الفاتيكان بعد عزله إثر ثورة 1848م في فرنسا . و إليه ينسب التصريح التالي :«*... إن المسيحية ليست فقط دين العلم المتحضر و لكنها أساس و حياة الحضارة نفسها منذ أن أصبحت مركز المسيحية ...*»[2]

حيث عبّر الفرنسيون حسب زعمهم :" أن المسلمين إذا اعتنقوا الين المسيحي فإنهم سيظهرون لنا الطاعة و يصبحون إخواناً لنا ... ألا تتطلب سعادة هؤلاء الأشقياء أن نقوم بهذه المحاولة ؟ إننا

1- محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص41.

2- شاوش حباسي ، المرجع السابق ، ص90.

عندما نقدّم لهم العقيدة الجديدة سنضع حداً لهذا الفيض الشنيع لطبائعهم و أخلاقهم ، و الذي يمتاز به هؤلاء الذين يسيّرهم القرآن"[1]

و تتجلى نوايا الفرنسيين جميعاً دنيين أو لا دنيين من هذا الاحتلال الذي كان في الأول يقصد به (على حد زعمهم) تمدين الشعب الجزائري ليكشف في الأخير عن حقيقته الصليبية و من جهة ثانية يبين وجود العلاقة الوطيدة و المتكاملة بين العسكريين و الدينيين عندما يتعلق الأمر بضرب الإسلام بالمقابل كان بعض الحكام العسكريين الفرنسيين في الجزائر[2]، أمثال "الجنرال راندون" الذي عُين حاكماً عاماً على الجزائر في ديسمبر 1851م، و الذي ركز على استئصال المقاومة الجزائرية ببلاد القبائل على الخصوص، فإن كاتب تقرير رسمي إلى الوزير الحربية الفرنسي تحت عنوان :"الديانة المسيحية و تطور انتشارها في الجزائر " يُثني عليه بهذه العبارات :«... ***ليس هناك أحسن من "راندون" في دعم و تطوير المؤسسات الدينية المسيحية التي أنشئت في عهد سابقيه...***».

و كان الجنرال "راندون" يصطحب الأساقفة عند خروجه لحرب الجزائريين ليُصفي على هذه الحرب بُعداً دينياً ، فبعد انتصار الفرنسيين على المقاومة الجزائرية في منطقة القبائل تحت القيادة الروحية للثائرة "لالة فاطمة" ، ذهب الفرنسيون إلى عين الحمام و معهم "الأسقف بافي" و أطلقوا عليها اسم حصن الإمبراطور ، فبارك الأسقف هذا العمل و ذكّرهم أن المنطقة كانت مسيحية في يوم من الأيام ثم خطب "راندون" خطبة شجع فيها الجنود و ذكر أنهم عادوا بعد إقصاء الرومان من هذا البلاد[3].

و نهاية عهده سعى "بافي" إلى الحصول على فتح أسقفيتي وهران و قسنطينة . و قيل أن "الماريشال بيليسييه" لم يؤيده في ذلك ، لأن ثورة أولاد سيدي الشيخ كانت قائمة في الجهة الغربية منه في 1864م . كما كانت الجزائر تعيش مضاعفات مرسوم 1863م الخاص بالأرض و انتزاعها من يد الأعراش و تمليكها للأفراد لكن وفاة "بيلسييه" في السنة نفسها 1864م جعلت "بافي" يغتنم فرصة زيارة "نابليون" الثانية للجزائر سنة 1865م و يثير معه موضوع الأسقفية في

---

1 - شاوش حباسي،المرجع السابق، ص90 .

2- عبد القادر حلوش ، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر** ، دار الأمة ، الجزائر،2010 ، ص68-69 .

3-حباسي ، المرجع السابق ، ص92 .

وهران و قسنطينة ، وكان البابا قد منح موافقته قبل ذلك .فواقف "نابليون" كذلك على طلب "بافي" برفع مستوى الأسقفية[1].

لقد كانت مرحلة تولي "الأسقف بافي" لأسقفية الجزائر منذ 1846-1865م ، كانت حافلة بالإنجازات على صعيد المنشآت الدينية حيث ترك جملة من المعالم الدينية المسيحية ، و حشد كبير من الرهبان و الكهان و الأخوات في عهده منظمات في جمعيات دينية تبشيرية[2].

توفي "بافي" في 16نوفمبر 1866م قبل أن يحقق آماله في تنصير الشعب الجزائر ، و هو الذي كان يقول أن احتلال الأرض وحده لا يكفي بل يجب تحويل الجزائر إلى أرض مسيحية فرنسية ؛ ليخلفه "لافيجري" الذي حمل على عاتقه سياسة تنصيرية نحو الجزائريين.

1-3- المرحلة الثالثة من 1867-1892م:

بعد وفاة "الأسقف بافي" سنة 1866م و شغور منصب رئاسة أسقفية الجزائر ، اقترح الحاكم العام "ماكمهون" على "لافيجري" ، الذي كان يشغل منصب رئاسة أسقفية مدينة نانسي بفرنسا[3] ؛ أبحر "لافيجري" نحو الجزائر ، أرض ميعاده ، و كله أمل في بدية مشوار تبشيري مسيحي بالجزائر و قد وصفت الدورية الفرنسية المرشد الجزائري . وصوله إلى الجزائر يوم 16 ماي 1867م بنشرها ما يلي : في هذا الصباح و على الساعة العاشرة و خمسة و أربعين دقيقة سُمعت ثلاثة طلقات للمدفعية أعلنت للسكان عن وصول باخرة لوكاتون إلى ميناء الجزائر و على متنها "المطران لافيجري" (انظر الملحق رقم 2 ص100).

و فور وصوله إلى الجزائر ، جعل من بين أهدافه الرئيسية ما يلي :

- جعل الجزائر نقطة انطلاق في تنصير إفريقيا.
- إحياء الماضي النصراني الروماني للمنطقة.

---

1 -سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار البصائر ، الجزائر ، 2007 ،ج6، ص118

2- مزيان ، المرجع السابق ، ص16

3- نفسه، ص48

- جعل التنصير ركناً أساسياً في البناء الاستعماري ، لا سيما بعد اتحاد الكنيسة مع أقطاب الاحتلال الفرنسي على وجه الخصو[1] .

لقد كانت كارثة 1867-1868م فرصة مناسبة اغتنمها "الكاردينال لافيجري" ليفتح باب التبشير على مصراعيه ، و قاعدة المبشرين أنهم ينتهزون هذه الفرصة . فاستغل وضع الكثير من المرضى ، و الجياع و أنقذهم من الهلاك باسم الصليب و فرنسا فجمع حوله ما يقارب من 1800 طفل بين مشرد و مريض تتراوح أعمارهم بين الثامنة و العاشرة و وزعهم على مختلف المراكز و الملاجئ التي أنشأها في بوزريعة ، و بولغين (سان أوجين سابقاً) ، و بن عكنون ، و الأبيار ، بمصطفى ، قصد معالجتهم و تنصيرهم[2].

حيث تحصل "لافيجري "على موافقة السلطة العسكرية و قام بطلب مساعدات مالية من بعض الفرنسيين و المؤسسات المدنية و العسكرية من أجل بناء الملاجئ و دور الأيتام.

يعتبر "لافيجري" أحد الوجوه التاريخية المسيحية التي أثرت بعمق على فلسفة التبشير ، و طبعتها بتفكيره و سلوكه و جرأته في شتى الميادين و هو يمثل خلال سنوات 1868-1892م قمة التبشير في الجزائر و في أفريقيا و يعود ذلك إلى :

1- النشاط الفعال الذي أبداه في نشر المسيحية .

2- موافقه التبشيرية التي استهدفت خدمة المصالح الفرنسية بالجزائر و أفريقيا بوجه عام.

3- التأييد الذي حصل عليه من بعض المسؤولين الكبار في الجزائر ، و من الحكومة بباريس.

بالرغم من تحفظات الإمبراطور الذي أتهمه بأنه لا يتحلى " بالحذر و التريث" و أنه " أسقف مغال في التحمس أكثر من اللزوم و لا يليق وجوده في بلد مسلم تعالج فيه القضايا الدينية بدقة شديدة".

---

[1] - أحميدة عميراوي و آخرون ، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916** ، دار الهدى ، ، الجزائر ، 2009 ، ص109.

2- خديجة بقطاش ، المرجع السابق ، ص108.

و كان الأسقف الجديد أكثر حرصاً على جعل المسلمين يعتنقون المسيحية من حرصه على هداية الرعاية الأوروبيين[1].

لقد عمل "لافيجري" منذ أن أصبح أسقفاً للجزائر في 1867م على غزو الإنسان الجزائري بعد أن ظهر له أن عملية الاحتلال العسكري (احتلال الأرض) قد انتهت . و ارتبط بحادثة وقوع مجاعة كبرى في الجزائر خلال عامي (1867-1868م) .نتيجة للوسائل التي اتبعتها فرنسا لتحويل الجزائر إلى مستعمرة استيطان ، و ازدياد نشاط الحركة التبشيرية التي تحمّس لها الأب "لافيجري"(انظر الملحق رقم 1ص99) . فقد انتهز هذه الفرصة و جمع الأطفال الذين فقدوا ذويهم و جعلهم ينشؤون على الدين المسيحي . و من هؤلاء الجزائريين (الكاتوليك) كوّن "لافيجري" طبقة جديدة من المبشرين عرفت بالآباء البيض و انتشرت في بلاد البربر[2].

لم يخفي "لافيجري" نواياه التبشيرية منذ الوهلة الأولى من التعيين و يظهر هذا في مكاتبته لوزير الشؤون الدينية بعد قرار التعيين إذ يقول :«... ***إني الوحيد الذي أبديت اهتماماً بنشر المسيحية وسط العرب ، و قد كانت و لا زالت لي علاقة طيبة مع مسيحي المشرق العربي ...***».

و كان قبول "لافيجري" لمنصب أسقفية الجزائر ، كان أولاً و قبل كل شيء يرمي إلى أبعاد دينية و سياسية في نفس الوقت ، و لتعزيز المكاسب الفرنسية بالجزائر . و أعبّرت عن ذلك رسالته الموجهة إلى رهبان الجزائر يوم 05 ماي 1867م قال : " سآتيكم إخواني في ساعة مشهورة كتاريخ إفريقيا المسيحية ... إن الكنيسة و فرنسا متحدتان على إحياء الماضي "[3] .

و لقد كتب "لافيجري" في سنة 1868م أنه " يجب رفع شأن هذا الشعب " و أنه " يجب عدم الوقوع في أخطاء الماضي و الكف عن حصر في القرآن كما فعلنا ذلك لمدة طويلة و كما نريد فعله اليوم في مملكة عربية مزعومة . و يجب أن نلهمه ، على الأقل من خلال أطفاله ، مشاعر أخرى و مبادئ أخرى ، و يجب أن تعطي له فرنسا ، عفواً ، بل يجب أن تتركنا فرنسا نعطيه مشاعر الإنجيل و تعاليمه من خلال إشراكه أخيراً في حياتنا[4].

---

[1] -شارل أندري جوليان، **تاريخ الجزائر المعاصرة (الغزو و بدايات الاستعمار 1827-1871)**، دار الأمة، الجزائر، 1 2013، المجلد الأول،ص718.

2 – عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص71.

[3] – خديجة بقطاش ، المرجع السابق ، ص111 .

[4] – جوليان ، المرجع السابق ، ص718

إن التبشير الذي يريده "لافيجري" هو ذلك الذي يعمل على الإدماج عن طرق التبشير و ليس عن طريق القوة[1].

لقد قام هذا الراهب بأعمال كثيرة منذ قدومه على رأس الأسقفية ساعياً من خلالها إلى تمسيح الشعب الجزائري و بعث المسيحية إلى أبعد نقطة في الجزائر ؛ و كان "لافيجري" يعمل على تفكيك المجتمع الجزائر ليترك المجال واسعاً لعملية تنصير الشعب الجزائري فقد استطاع أن ينشر المسيحية بخطى واسعة ، و ذلك بإنشاء المراكز لليتامى يقوم من خلالها بتوجيههم وفق المصلحة الأوروبية و صبغهم بالصبغة المسيحية[2].

و أما عن الجمعيات الدينية في عهده فقد واصلت عملها التبشيري سواءً التي أاستقدمت في عهد سابقيه "دي بيش" و "بافي" ؛ كما قام "لافيجري" باستقدام مجموعات دينية أخرى لتدعيم العمل التنصيري و منها :

1-جمعية أخوات سان جوزيف دوفانس SAINT JOSEFH DE VANS LES SDEURS :

التي مُنحت لها مهمة تسيير مدارس دينية داخلية بالمدينة و الأبيار و المدارس البلدية بزرلدة ، حمر العين ، سطاوالي ابتداءً من 1868م.

2-جمعية أخوات العناية الإلهية لريبوفيل REBEAVILLE LES SŒURES DE LA PROVIDENCE DE: التي استقدمت 1871م و تكفلت بمدارس و ملاجئ برج منايل ، و تيزي وزو على وجه الخصوص.

3-جمعية سان جوزيف دو سان جو دو موريان DE SAINT JEAN DE MAUIRIENNE DE JOSEF : و التي استقدمت ابتداءً من 1884م و التي فتحت مدرسة دينية حرة بمدينة قوراية قرب شرشال[3]. وإضافةً إلى هذه الجمعيات جمعية الآباء و الأخوات البيض.

---

[1] خديجة بقطاش ، المرجع السابق ، ص111.

[2] عبد القادر حلوش ، المرجع السابق ، ص72 .

[3] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص 73 .

4-جمعية الآباء و الأخوات البيض Lespéres et Lessoeur blanches :

أسست هذه الجمعية من طرف "المطران لافيجري" سنة 1867م، عندما حلت المجاعة بالشعب الجزائري ، و ذلك ليقدم أفرادها رغيف الخبز بيد و صليب المسيح باليد الأخرى للمنكوبين الجزائريين ؛ و سميت بجمعية الآباء و الأخوات البيض نسبة إلى الزي الأبيض الذي يلبسه أعضاؤها ، و المشابه تماماً للزي العربي في الجزائر[1]؛ حيث تكون من جبة طويلة بيضاء مصنوعة من الصوف أو القطن ، و يوضع فوقها برنوس أبيض اللون و شاشية حمراء على الرأس و تحاط الرقبة بسبحة وردية بها صليب أبيض أو أسود ، و كثيراً ما كان الآباء يتركون لحياهم طويلة (افتداء بالمشايخ المسلمين خاصة) أملاً في الاحتكاك بالسكان و إبعاد شبح النفور منهم[2]

و يعود سبب ارتفاع عدد الجمعيات التبشيرية المستقدمة إلى الجزائر في هذه المرحلة إلى :

1- تعيين "المطران لافيجري" على رأس أسقفية الجزائر ، و هو رجل متحمس لتنصير الشعب الجزائري ، حيث لا يمكنه بلوغ هذا الهدف إلا بأعداد هائلة من المبشرين.

2- القوة التي يتميع بها "لافيجري" سياسياً ، و هذا بخلاف سابقيه فقد وصل به الأمر أكثر من مرة إلى تحدي سلطات الاحتلال فيما يتعلق بمخططاته التبشيرية، بالإضافة إلى كونه ذا مكانة مرموقة لدى سلطات الفاتيكان .

3- الأوضاع الاقتصادية المزرية التي حلت بالشعب الجزائري في بداية هذه المرحلة (مجاعة 1867م) ، حيث استغلها "لافيجري" إلى أقصى درجة ، فعمل على إطلاق العنان لحملته التنصيرية مستغلاً بذلك محنة الجزائريين[3].

لقد كان للافيجري علاقات كثيرة و مكانة مرموقة بين العسكريين و رجال الدولة السياسيين و الحكام العامون بالجزائر ؛ فمثلاً نذكر العلاقة بينه و بين الحاكم العام "ماكمهون" الذي تولى الحكم في الجزائر إبتداءً من 19 سبتمبر 1864 م إلى غاية 26 يوليو (جويلية) 1870م ؛ فمنذ البداية شعر "ماكمهون" بالحرج مع "لافيجري" فقد أخذ هذا يتدخل في شؤون الإدارة و العلاقات مع المسلمين ، كما أن زوجة "ماكمهون" كانت هي المتولية للإشراف على الأعمال

---

[1] محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص38.

[2] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص76-77.

[3] محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص42.

الخيرية ، فأراد "لافيجري" الاستلاء على ما بيدها فرفضت فهددها بالطرد من الكنيسة[1]؛ و إضافةً إلى هذا فقد تسبب في أزمات خطيرة مع السلطات العسكرية بالرغم من تديّنها الشديد مثل "ماكمهون" ، و التي كانت تخشى عواقب التبشير الكاثوليكي ،فلم يكن من الممكن تطبيق حرية التبشير التي كان يطالب بها الأسقف دون الدعوة إلى العنف ، وسط القبائل إلا بدعم من الجيش الذي رفض ذلك خوفاً من أحداث الشغب . و ما يفسر طلب حرية التبشير هو الاستخفاف التام بالإسلام الذي حكم على منتقص بفقدان الضمير الخلقي . و أصبح خلاص العرب بواسطة المسيحية واجباً ملحاً[2].

و لعل أكبر متحمس لتمسيح الجزائريين من الحكـــام العـــامين كان "الأميرال دي قيدون" **De gueydon** حتى لقبه المعمرون ب الأميرال الكردينال، و قد أعلنها حرباً مكشوفة على المسلمين و الإسلام في الجزائر بمرافقته الشديدة الدائمة للطرق الدينية و إهمال المؤسسات الدينية الإسلامية و منع الجزائريين من أداء فيضة الحج ، و في المقابل أطلق اليد للمبشرين بقيادة الكاردينال "لافيجري" للنشاط الواسع في الجزائر و أمدهم بالدعم المادي و الحماية[3] .

و تجدر الإشارة إلى أن "الماريشال نيل" **Niel** وزير الحربية آنذاك و "الجنرال صوني" **Sonis** الذي ثمّن مهمة "لافيجري"بأنها "المهمة الوحيدة التي يمكنها أن تقدم الحقيقة إلى الشعب (الجزائري)"، و الجنرال "ومفان" **Wimpfen** الذي أعتبر تنشئة "لافيجري" يتامى المسلمين على المسيحية هي أجمل و أجل مشاريع هذا القرن ، و الطبيب "وارنيي"**Warnier** (كان عضو في المجلس الوطني) الذي كتب إلى "لافيجري" يطمئنه و يحثه على مواصلة عمله بعبارات مشجعة مثل : آمل أن تستمر في نشاطك من أجل انتصار الحضارة و بعث الكنيسة الإفريقية وسط هؤلاء الجبليين الذين كانوا مسلمين بالاسم فقط ؛ فكل هؤلاء كانوا حريصين على أن تُقتلع جذور الإسلام من الجزائر و أن تحل محله المسيحية.

لقد استحدث "لافيجري" أساليب جديدة للتنصير ، حيث ركز من خلال فرقة الآباء و الأخوات البيض على ميادين كثيرة أهمها : التطبيب ، التعليم حيث أسس الكثر من ملاجئ الأيتام

---

[1] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ،ص17 .

[2] شارل اندري جوليان ، المرجع السابق ، ص719 .

[3] شاوش حباسي ، المرجع السابق ، 94 .

كملجأ سان سيبيريان ، و القرى كقرية سانت مونيك ، للأطفال و هذا لسهولة التنصير بينهم على عكس الكبار ، كما كان يرى ولاستكمال مشروعه التنصيري ، لجأ إلى تكوين المنصرين من الأهالي أنفسهم ، لأن التنصير في نظره إذا تم بين إفريقي لإفريقي يكون أكثر نجاعة من فرنسي لإفريقي . و لتحقيق ذلك أسس المراكز التنصيرية في مختلف المناطق ، لاسيما في منطقة القبائل حيث يتواجد البربر الذين ركز عليهم "لافيجري"كثيراً[1] ؛ و تعتبر هذه المراكز هي المراكز التبشيرية الأولى ببلاد القبائل في أوائل سنة 1873م و هي :

1-مركز تغمونت عزوز في بني عيسى سنة 1873م و يشرف عليه أربعة مبشرين .

2-مركز توريرت عبد الله في آيت واضو سنة 1873م و به ثلاثة مبشرين .

3-مركز خراطة في بني إسماعيل سنة 1874م و به أربعة من رجال الدين .

4-مركز ورزان في بني منقلات سنة 1876م و يعمل به خمسة مبشرين .

5-مركز اغيل علي في بني عباس سنة 1879م و به خمسة مبشرين .

إن الحركة التبشيرية التي عرفت عراقيل في عهد النظام السابق ، ستعرف في هذا النظام الجديد انطلاقة كبرى في بلاد القبائل ، و المدن الصحراوية كميزاب و الأغواط و ورقلة و بسكرة و البيض و غيرها و ستكون هذه المدن بمثابة بوابة للتبشير في أفريقيا الاستوائية و حتى لا تتلقى الجهود التبشيرية نفور السكان منها ، أوجد "لافيجري" إمكانيات و وسائل ، و ذلك بوضع برنامج يسير عليه المبشرين في عملهم[2].

[1] شاوش حابسي ، المرجع السابق ، ص95 .

[2] خديجة بقطاش ، المرجع السابق ، ص155-156 .

2- الكاردينال لافيجري و دوره في سياسة التنصير من 1867-1892م

بحلول سنة 1867م سيستخلف "لافيجري" "المطران بافي" الذي توفي سنة 1866م و يتولى "لافيجري" إدارة أسقفية الجزائر فسيبلغ التبشير قمته في الجزائر ، حتى لقب "لافيجري" بأبو التبشير في الجزائر و أفريقيا من خلال تشكيله لنظام أساسي للنشاط التبشيري في الجزائر فقد ارتبط هذا النشاط بشخصية "لافيجري" ، اتخذ طابع غزو ديني بل تحول إلى رائد لسياسة الاستعمار الاستطاني حتى عدّته الكتابات التاريخية التبشيرية أبرز شخصية دينية في هذا المجال طيلة القرن التاسع عشر[1] .

2-1- شخصيته:

ولد شارل أنطوان "مارسيال لافيجري" **Charles antoines Martial lavigerie** في31 أكتوبر1825م بمدينة وير Huire قرب بايون و هو الابن الأكبر في عائلته ، شغل أبوه **ليون لافيجري** منصب مفتش لدى مصلحة الجمارك بالمدينة ، أما أمه فهي "لورلا تريل" **Laurela thrile** و هما من عائلة بورجوازية .

لقد أظهر "لافيجري" منذ صباه توجهاً دينياً خالصاً من خلال حضوره الدائم بكتدرائية المدينة ، و حتى في ألعابه كان يحب لعب دور الأسقف سواء مع أفراد العائلة أو أطفال سنه ، حيث كان يتوهم إقامة القداس و المراسيم الدينية المسيحية ؛ ابتداءً من سنة 1840م و حينما بلغ الخامس عشر من عمره أدخل "لافيجري" المدرسة أظهر مواهبه الفكرية حتى أنه كان الأول من بين قرنائه ، و بعدها دخوله المدرسة الإكليركية الكبرى سان سولبيس بإسي نواحي باريس Saint sulpicedissy-paris في أكتوبر 1843م و عمره آنذاك ثمانية عشرة سنة لدراسة الفلسفة لمدة سنتين[2] ؛ و بحلول سنة 1861 م و تتويجاً لأعماله الكبيرة و الجليلة في حرب الشام 1860م ، و إعترافاً بخدماته المعتبرة للمسيحية ، رقي إلى منصب بابوي جد هام حيث عين Auditeur de rote خاصة أنه كان مساندأ السياسة **نابليون الثالث** ، و من سنة 1863م إلى 1866م ، عين مطراناً على أسقفية الجزائر التي طالما حلم برئاستها ، و في سنة 1868م عين مندوباً رسولياً بابوياً لمنطقة الصحراء و أفريقيا الغربية Delegue apostique pour le sahara et

---

[1] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص16-17 .

[2] نفسه ، ص32.

l'afrique ثم لمنطقة إفريقيا الإستوائية إبتداءً من السنة 1878م Delegue apostique de l'afrique equatortale ثم مديراً رسولياً لأسقفية تونس بعد إنتصار الحماية الفرنسية عليها سنة 1881م ، و بعدها مطراناً على كنيسة قرطاج و تونس ثم مقدماً لأساقفة إفريقيا Primat d'afrique إبتداءً من سنة 1884م[1] ، و قبل كل هذا فقد تم ترقية إلى منصب كاردينال بمرسوم بابوي سابقة أولى في تاريخ التواجد المسيحي بالجزائر و إفريقيا قاطبة ، حيث أُعتبر بذالك أول كاردينال إفريقي إبتداءً من سنة 1882م[2] .

2-2- نشاطه:

كان "لافيجري"من أشد المتحمسين لنشر المسيحية وسط المسلمين و خاصةً في المستعمرات الفرنسية ، فمنذ بداية حياته كان مولعاً بالجانب الديني ؛ أسس عدداً من المسيحيين الكاثوليك سنة 1855م سميت جمعية مدارس المشرق هدفها نشر المسيحية بالمشرق عن طريق إنشاء المدارس التبشيرية المسيحية هناك لإرساء دعائم التواجد و التأثير الفرنسي المسيحي بالمنطقة و أختير "لافيجري" مديراً لها سنة 1861م خلفاً للأسقف "دوفان" و من هنا بالتحديد تبدأ المسيرة التبشيرية الميدانية للافيجري و التي ستدوم ثلاثين سنة كاملة[3].

و أما عن نشاطه و موقفه من قضية المسحيين في المشرق فقد إتجه "لافيجري" في 30ديسمبر1860م على متن باخرة من مرسيليا ، وصل إلى بيروت في 13 أكتوبر من نفس السنة[4] ، و قد إقترح لافيجري من أجل حل مشكلة النزاع ، عرض الهجرة على الموارنة نحو الجزائر قبل حرب 1860م[5] ، و أثناء هذه الأزمة و الصراع ، فقد صادف عند مكوثه بالشام و أعانته (لإخوانه) المارنيين أن قابل "الأمير عبد القادر الجزائري" المنفي إلى دمشق بعد فشل ثورته بالجزائر هذه المقابلة تأتت بعد ما قام **الأمير** بعمل نبيل شغف عاطفة المسحيين حباً ، حيث جمع الأسر المسيحية في قصره (أكثر من 1000 مسيحي) منهم آباء ، أخوات ، رهبان و راهبات و

---

[1] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص45.

[2] نفسه ، ص46

[3] نفسه، ص38

[4] نفسه ، ص40

[5] نفسه ، ص41

أثناء مقابلة "لافيجري" لحضرته أدلى بقوله : «*... لقد وجدتفيه كل معاني السماحة و الشهامة و الرزانة في القول " و أضاف يقول : " عندما أردت مغادرته ، مدّ يده ليصافحني فإفتكرت أنها اليد التي أنقذت المسحيين ، فحاولت تقبيلها عرفاناً بجميله ، فرفض و أكد أنه لم يقم إلا بواجب تقتضيه شرائع الدين فخرجت من حضرته و أنا شديد الإعجاب بشخصيته..*»[1] ، و بعد هذا عاد إلى فرنسا و واصل مهامه ، و عند وفاة الأسقف "بافي" و شعور منصبه على رأس أسقفية الجزائر أُقترح إسم "لافيجري" ليخلفه و تم هذا سنة 1867م ؛ و يعتبر أحد الوجوه التاريخية المسيحية التي أثرت بعمق على فلسفة التبشير ، و طبعتها بتفكيره و سلوكه و جرأته في شتى الميادين و هو يمثل خلال سنوات 1868-1892م قمة التبشير في الجزائر و في أفريقيا[2] .

لقد كان للافيجري حركية واسعة النطاق و خاصةً في منطقة القبائل التي ركزت عليها لنشر المسيحية وسط سكان المنطقة ، و هذا حسب رأيه أنهم أمازيغ لا يُجيدون العربية جيداً و أنهم أقل تمسكاً بالدين الإسلامي و التعصب له . حيث كان يظن أن في هذه المنطقة يسهل عليه الدعوة للمسيحية ، و قد كان له طموح بنشر المسيحية في نطاق واسع ليفتح الطريق أمام التواجد الفرنسي من خلال توسيع نشاطه بشتى الطرق و الوسائل منها التعليم و التطبيب و الأعمال الخيرية و كذا إنشاء المنشآت الدينية كالكنائس و المستشفيات و المراكز الصحية و كذا دعا رجال الدين المبشرين إلى الإحتكاك بالسكان و العيش معيشتهم ليسهل نشر المسيحية .

2-3- أعماله و إنجازاته

من أهم الأعمال و الإنجازات التي قام بها "لافيجري" نذكر منها :

1-تأسيس فرقة الآباء و الأخوات البيض :

أمام تطلعات "لافيجري" الرامية لجعل الجزائر بوابة لنشر المسيحية بأفريقيا ، فإنه عمل على تشكيل و تأسيس منظمة لجمع شمل مبشرين من الآباء و الكهان أين أولى شغف كبير و إخلاص متين لنشر تعاليم الإنجيل و الدعاية في أوساط المسلمين و الوثنيين الأفارقة ، هذه الفرقة أرادها أن تكون شجرة تطلق أغصانها على كامل أفريقيا[3].

---

[1] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص43 .

[2] خديجة بقطاش ، المرجع السابق ، ص110-111 .

[3] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص75

و كان أول من تطوع في هذه الفرقة الجديدة ثلاثة من رجال الدين بالمدرسة الإكليركية بالقبة و قد نصحهم بذلك الأب جيرارد من فرقة اليسوعيين و حتى تتمكن هذه الفرقة من القيام بعملها ، وجه "لافيجري" يوم 10 ماي 1869م نداء إلى كل المدارس الإكليركية بفرنسا يحثها على الإنضمام إلى هذه الفرقة و الوقوف أمام تقدم الإسلام .

لم ينس "لافيجري" مقام المرأة في الأسرة . فوجده إهتمامه إلى التأثير عليها . فالمرأة في نظره – مدار الحياة الإجتماعية و الوصول إلى الأسرة كلها ، و لهذا أنشأ في نفس السنة سبتمبر 1869م فرقة الأخوات البيض التي حمّلها مسؤولية التبشير في الوسط النسائي ، عن طريق التطبيب و التعليم و الخدمات الخيرية[1] ؛ و في فيفري 1869م ، و بعد ثلاثة أشهر من التكوين ، لبس الآباء لباسهم المسيحي التبشيري الجديد و بوركوا في كنيسة السيدة الإفريقية ، فجاء هذا اللباس موازياً للباس العربي الإسلامي الجزائري[2].

و قد إختلفت فرقة الآباء البيض عن الفرق التي كانت موجودة آنذاك في الجزائر في أشياء كثيرة ، ذلك أنه أدرك أن اللباس الديني المسيحي لرجال الدين قد يخلق هوة بينهم و بين السكان لذلك أشار على أعضاء الفرقة الجديدة أن يتقربوا من الأهالي بإتخاذ عاداتهم و طرق معيشتهم في لباسهم و لغتهم لكي يكون إحتكاكهم بالأهالي شديداً و مفيداً وصوّر لهم عظم المسؤولية قائلاً : «... **إن رجال الدين قامو بإصلاح الأراضي في فرنسا و تعميرها ، و تحضيرها و تنصير سكانها بعد أن إكتسحت هجومات البربار الأراضي الأوروبية ، و هذا ما يجب عمله في إفريقيا ، بعد زحف الإسلام عليها** ...» .[3]

لقد وضع "لافيجري" قواعد ثلاثة لهذه الفرقة أصبحت تعتمد عليها فيما يلي :

1-أن هدف هذه الفرقة من التمسيح بالصبر لأن العمل شاق و طويل و العمل بالحذر لأنه ضروري لبلوغ أي هدف ، و إستعمال العمل الخيري ، الوسيلة الأساسية في التبشير .

2-أن يكون شعار هذه الفرقة المحبة و التكتل ، لأن في ذلك قوة تعمل على الوصول إلى الأهداف التبشيرية .

---

[1] خديجة بقطاش ، المرجع السابق ، ص128-129 .

[2] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص76 .

[3] خديجةبقطاش ، المرجع السابق ، ص129 .

لهذا الأسباب إنطلقت فرقة الآباء و الأخوات البيض ، في العمل التبشيري و يمكن أن تعتبر تأسيسها ، إنطلاقة كبيرة في الميدان التبشيري ، وذروة هامة بلغها التبشير في الجزائر ، بل و في أفريقيا ، فبفضل هذه الفرقة تمكن "لافيجري" من أن يركز على نفوذه و ذلك بتأسيس عدة مراكز تبشيرية في كل أنحاء البلاد ، كان أهمها تلك المراكز التي أسسها في منطقة القبائل الكبرى و الصحراء[1] .

لقد قيل عن "لافيجري" أنه كان يؤمن بفتح الصحراء في وجه فرنسا ، مقتنعاً بضرورة ضم إفريقيا السوداء إلى فرنسا لأنها منطقة غنية و مكملة للجزائر في نظره . و رأى "لافيجري" أن أكبر عائق في وجه فرنسا هناك هو الإسلام . و لذالك ألف الإرساليات التنصيرية التي كان هدفها نشر المسيحية و تسهيل مهمة فرنسا في الإستلاء على المناطق الصحراوية الشاسعة و هنا بدأت تظهر له فكرة إنشاء جمعية الآباء البيض للصحراء ، بذالك سبق جنود المسيح جنود الحكومة الفرنسية ؛ تأسست مركزية لهؤلاء الآباء في ورقلة منذ 1873 ، و بقيت هناك إلى 1881 عند ثورة بوعمامة و لم ترجع إليها إلا بعد 1891 و كان لهذه المجموعة أربعة من اللآباء (القساوسة)[2].

أما الأخوات البيض فقد أنشأن في ورقلة أيضاً مشاريع لجلب النساء و التغلغل في المجتمع الصحراوي و كانت لهن مدرسة ، ورشة((انظر الملحق رقم 3 ص101) ؛ و كل ذلك كان تحت شعار الدعوة إلى المسيحية و إخراج السكان من التخلف و ربطهم بالثقافة الفرنسية[3] .

2- أعماله في منطقة القبائل :

لقد إختار "لافيجري" منطقة القبائل من دون غيرها من المناطق لعدة أسباب منها :

أ- كثافة السكان و تجمعهم في منطقة واحدة .

ب-عزلة هذه المنطقة (جرجرة) و بعدها عن المدن الجزائرية (الأوروبية) .

ج-فقر المنطقة إقتصادياً[4] .

---

[1] خديجة بقطاش، المرجع السابق ، ص130

[2] ابوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص130

[3] نفسه ، ص131

[4] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص204

لقد ركز المبشيرون و من بعدهم منظروا المدرسة الفرنسية، نشاطهم التبشيري و التنصيري على منطقة القبائل دون غيرها لإعتبارات و تفسيرات تبناها الأوروبيين ، منها أن المنطقة و سكانها أكثر قابلية للإندماج لأن إسلامهم سطحي و أعداء فطريين للعرب ؛ و أنشأ ت الكتابات الأوروبية الإستعمارية أُسطورة قبائلية حقيقية[1].

و كذا ركز "لافيجري" على منطقة القبائل و خاصة ً منها المناطق الجبلية و النائية الأقل تديناً و هذا من أجل تجنب الإحتكاك و الإصطدام برجال الدين المحليين ، أين إستغل هذا لمصلحته من أجل مواصلة عملية نشر المسيحية بشتى الوسائل كالأعمال الخيرية المختلفة كالغذاء و الدواء ...

و أما عن المراكز التنصيرية في منطقة القبائل فإنه تم بناء 39 مركزاً خلال زيارة "الكاردينال لافيجري" سنة 1873 ، مراكز تنصيرية في كل من قرية ثاغمونت عزوز ، واضية ، بني عريف ، و في السنوات الموالية تم توزيع الآباء البيض في القبائل الأخرى ، و من مراكز التنصيرية الهامة "الحصن الوطني" الذي كان عبارة عن دير للإرشاد العسكري سنة1857 ، هذا المركز تم تطويره من اليسوعيين سنة 1863 ، ثم أهمل سنة 1873 ، بعد إنتزاعه من اليسوعيين ، و أصبح تابعاً مباشرةً لأسقفية الجزائر العاصمة من سنة 1873م إلى غاية 1915 إذ إستلمه الآباء البيض و من المراكز التنصيرية الأخرى التي أسست بمنطقة القبائل يمكن أن نذكر مايلي :

-ثاغمونت عزوز الذي أسس سنة 1873م .

-تاوريرت عبد الله واضية في سنة 1873م .

-إبركنن أعرين في سنة 1873م الذي أهمل سنة 1879 .

-تيزي وزو أسست بها خورنية سنة 1874 و أستقلت إلى غاية سنة 1876م .

-بونوح سنة1876م .

-جمعية صهاريج مركز أسس في سنة 1872م من طرف اليسوعيين ، و الذي أهملوه سنة 1880 ، ثم أعيد فتحه سنة 1883 من طرف الآباء البيض ، ثم سلم إلى الأخوات البيض سنة 1886.

-وارزان آث منقلات سنة 1876.

-آيت الأربعاء آث بني ، مركز أسس من طرف الآباء البيض في سنة 1883.

---

[1] عبد القادر حلوش ، المرجع ، السابق ، ص72

-واد عيسى بالقرب من تيزي وزو الذي أسس سنة 1926.

-إغيل علي تازمالت ، في سنة 1876 .

-خراطة في سنة 1895 .

لقد بذل "لافيجري" كل ما بوسعه و ركز جهوده على تمسيح منطقة القبائل و إثبات مسيحيتها قبل دخول الإسلام إليها بشتى الطرق و الوسائل . إلا أن جهوده هذه لم يكتب لها النجاح.

أفنى "لافيجري" حياته في سبيل نشر و تمسيح الشعوب الإفريقية إنطلاقاً من الجزائر ؛ مات "لافيجري" بالجزائر[1] في نوفمبر 1892 عن عمر ناهز 67 سنة ، و حضر جنازته الحاكم العام "جون كامبون" الذي أشاد بخصاله و دوره . و قد نعته الصحف و الدوائر الدينية و الإستعمارية لأنها خسرت به بطلاً من أبطالها ، إنه قاد نوعاً من الحملة الصليبية داخل أفريقية عندما أسس جماعة (الإخوة المسلحون في الصحراء) . كما نوّهت بمشروعه الناجح في نظرها بالآباء و الأخوات البيض ، لأنهم هم الذين حملوا تعليماته الدينية ، و مبادئ الحضارة الفرنسية إلى المناطق الأكثر بعداً في القارة الإفريقية . و قد عرفنا أنهم إنطلقوا من الجزائر التي جعلوها حقل تجارب في إحياء الكنيسة القديمة و مهاجمة الإسلام[2].

[1] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص13

[2] نفسه، ص133.

3- موقف الجزائريين من سياسة التنصير:

كان موقف الجزائريين من هذه السياسة التي أخذت تتسع عبر الربوع الوطنية خاصةً في المناطق الشمالية منذ بداية الإحتلال الفرنسي رغم تعهد السلطات الإستعمارية عند دخولها للبلاد أنها لن تتعرض للأسلام و المسلمين و عدم المساس بالمؤسسات و الأوقاف الدينية و كذلك عدم التجل في الشؤون الإسلامية و أن حياتهم لن يمسها شيء و ستستمر كما هي ، إلا أن لاشيء من هذا حدث حيث تعرضت المساجد للتخريب و التهديم و التحويل و نهب الأوقاف و الإستلاء عليها و كذا حرمان المسلمين من إقامة شعائرهم الدينية .

3-1- موقف أعيان و مشايخ القبائل :

إن موقف الجزائريين إتجاه سياسة التمسيح و التنصير كان موقفاً رافضاً لها حيث أنه أصر على التمسك بعقيدته الإسلامية و إنتمائه العربي حيث كان لهم مواقف حازمة خاصةً من طرف الأعيان و مشايخ القبائل أين كانت لهم مواقف و ردود أفعال من أبرز هؤلاء الأعيان الذين كانت لهم مواقف نذكر :

-**أحمد بوقندورة** الذي عارض و بشدة قرار المجلس البلدي لمدينة الجزائر المؤسس بعد إعلان النظام المدني بالجزائر ، إبتداءً من الفاتح من جانفي 1871 بغلق المدارس الدينية و إيقاف الإعانات المخصصة لجميع الديانات بالجزائر كونه كان عضواً بالمجلس حيث ذكر الحاضرون بأنه لم تكن للديانة الإسلامية إعانة من البلدية ، فمصاريفها كانت عن طريق مدخيل الأوقاف التي حجزتها الإدارة الفرنسية[1] ؛ و كان أيضاً :

-**الأمين الحاج لونيس نايت علي أوعمر** ، أمين قرية بني فراح بالقبائل الكبرى (تيزي وزو) من أشد المعارضين لنشاط الأب كروزا الذي بعثه "لافيجري" للمنطقة حيث جمع سكان القرية بمحضر "**الكولونيل مارتان**"(الضابط الأعلى لحصن نابليون) و جاطب السكان قائلاً : " هل ترغبون في إعتناق الديانة المسيحية ؟ و هل تسمحون لهذا الأب البقاء بينكم ؟ فسكت الحضرون و بكت عيونهم حتى أن أحداً منهم لم يستطع الإجابة و بعدئذ أجابوا بكلمة واحدة قاطعة : "و إذا لم نجد لذلك سبيلاً فضلنا الموت بدلاً من إعتناق المسيحية"[2] ؛ أما عن موقف الباشأغا :

---

[1] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص408 .

[2] نفسه ، ص409

-لإبن علي الشريف فإنه أبدى قلقه و إستيائه من نشاط الآباء البيض بالمنطقة و عبر عن ذلك بقوله : " إننا نفضل أن نرى أبنائنا يموتون على أن نراهم أصبحوا مسيحيين " ، فمعناها يستحيل الإرتداد . لقد وعدتمونا بحرية المعتقد و إذا أخللتم بذلك فإنكم بذالك تخلفون وعدكم و نحن بدورنا لن نتسامح معكم[1].

و قد كان لمشايخ و قادة القبائل وقفة حازمة في وجه المستعمر و سياسته و هذا ما إنعكس في الثورات و المقارمات الشعبية في العديد من المناطق ، كالأمير عبد القادر ، لالة فاطمة نسومر ، بومعزة ، أولاد سيدي الشيخ ، المقراني و الشيخ الحداد ، الشيخ بوعمامة و غيرهم[2] ؛ حيث كان الدين الإسلامي في نظر الإستعمار الفرنسي هو العدو التاريخي اللدود للصليبية ، و كما يعرف أن هذا الدين هو أحد المقومات الرئيسئة للشعب الجزائري ، و أنه هو عامل التماسك و الإلتحام بين أفراد هذا الشعب ، لذلك كان القضاء على الدين الإسلامي هو الهدف الثاني الذي يغزز طموح فرنسا في جعل الجزائر مقاطعة منها أرضاً و ديانة . و قد وضعت فرنسا خطة للقضاء على هذا الدين تمثلت في تدمير المساجد و إغلاق الؤسسات الدينية و إضطهاد رجال الدين و التنصير[3] ؛ و أدى هذا إلى إنفجار سكان المناطق التي عزمت فرنسا على تنصيرها منها الثورة الرحمانية التي إندلعت في 1871م التي إنطلقت من منطقة هي أبعد ما يكون عن الكوارث الطبيعية لعام 1868م لدليل على أن رد فعل سكانها ، لم يكن بسبب إقتصادي ، و إنما كان أساساً للتصرفات التبشيرية التي هددت ديانتهم . و رغم أن رسائل "المقراني" و "بومرزاق" ، و قادة الإخوان التي عثر عليها لا تشير إلى قضية التنصير في حد ذاتها بصراحة ، فإن الذي يظهر من ضمن الوسائل التي إستعملوها لإستنفار الناس و تحفيزهم على الثورة ، و حمل السلاح هو أثار سياسة التنصير[4] ؛ و من أجل إخماد و القضاء على هذه الثورات قامت السلطات الفرنسية بعدة تدابير منها تحطيم المؤسسات الدينية و كذا إضطهاد رجال الدين و العلم في الوقت الذي عمل على تدجين البعض

---

[1] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص410

[2] نفسه ، ص401.

[3] عبد الحفيظ مقدم، الحرب النفسية والإستعمار الفرنسي للجزائر، مجلة الدراسات التاريخية ، ع10،الجزائر، 1997 ، ص 150.

[4] خديجة بقطاش ، المرجع السابق ، ص151-152

الآخر ممن سهل عليه إغوائهم أو كسبهم بالترغيب و الترهيب ليكون منهم أعوان لمساعدته على تحوير عقول الأهالي أو تحريف عقيدتهم عن طريقها الصحيح بإدخال بعض الخرافات عنها[1] .

3-2- موقف الزوايا و الطرق الصوفية:

إن رد فعل الزوايا تجاه النشاط التبشيري "للكاردينال لافيجري" بالجزائر كانت له مزيتان : المزية الأولى هي الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية بكل مقوماتها من دين ، لغة ، تاريخ ، عادت و تقاليد ، و المزية الثانية تتمثل في إعلان حركة الجهاد و المقاومة الشعبية ضد الإستعمار العسكري السياسي و الغزو الروحي الديني و هذا ما يتضح بجلاء من خلال ثورة الطريقة الرحمانية بالشمال الجزائري و ثورة الطريقة السنوسية بالجنوب[2] ؛ و التي سيقدم على قتل "شارل دي فوكو" في أقصى الجنوب .

و يقول "أحمد توفيق المدني" عن دور الزوايا : " إن الزوايا بالجزائر مزية تاريخية لا ينكرها حتى المكابر ، ذلك أنها إستطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل و الظلمات حين أراد إطفاء شعلة الإسلام و الهوية الجزائرية[3] .

و في سنة 1868م إشتكى السيد "محمد السعيد بن علي الشريف" مقدّم زاوية أقبو لنائب الحاكم العام بقوة و عزة إستفزازات "الكاردينال لافيجري" : «... لقد قرأت رسالة لافيجري المؤرخة يوم 06 أفريل و التي أعلن فيها عزمه على إستبدال القرآن بالإنجيل لإعادة الحياة للشعب العربي...» لقد كان وقع هذه الرسالة شديد على المسلمين . و قد عبر "محمد السعيد" إنني رجل دين ، و كل مسلمي جيلي يفكرون مثلي[4] .

و نظراً للدور الإيجابي الذي أدته الزوايا في المحافظة على الهوية الإسلامية و وقفت حاجزاً منيعاً أمام المحاولات الفرنسية و التنصير التي كانت جزءًا هاماً من مشروع الإستعمار الفرنسي في الجزائر أدت بأغلب الحكام العامين إلى إصدار جملة من الإعترافات توضح قوة الزوايا أمام سياستهم الموجهة إلى القضاء على فاعليتها عن طريق الهدم و التحويل و مصادرة أوقافها التي كانت المورد

---

[1] عبد الحفيظ مقدم ، المرجع السابق ، ص151 .

[2] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص400 .

[3] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص357 .

[4] شاوش حباسي ، المرجع السابق ، ص95

الرئيسي في بقائها بل إمتدت اليد الإستعمارية إلى نفي وزج الكثير من المدرسين و الأئمة داخل و خارج الوطن[1] . و قد أرجع الكثير من الكتاب و المؤرخين الفرنسيين فشل سياسة التبشير و الفرنسة في الجزائر إلى الزوايا التي بقيت منتشرة في الجزائر رغم قضاء الإستعمار على العديد منها كونها كانت بفضل نشاط فقهائها و شيوخها مراكز دينية و ثقافة للكبار و الصغار و دور لمعالجة و إسعاف المرضى و المعوزين ، و ملتقى ذوي الرأي لحث المواطنين على الجهاد و عدم الولاء للكفار ... فجمعت بين الجانب الديني ، الثقافي ، الإجتماعي و السياسي ، و لم يعرف الفرنسيون لهذه الزوايا مثيلاً في أوروبا لذلك لم تتمكن منها و لم ينتبهوا لخطورتها إلا بعد زمن طويل[2] .

و كانت الطرق الصوفية بمثابة المحرك للزوايا و خاصة منها الطريقة الرحمانية التي ثار شيخها المقراني و الحداد في شمال البلاد ، و الطريقة السنوسية في الجنوب البلاد التي كان لها دوراً ريادياً في إنسياب الإسلام بالصحراء و مقاومة الغزو الروحي الديني الذي تزعمه "لافيجري" بالمنطقة و يرجع ذلك إلى كون الطريقة السنوسية خالية من الغموض و الأسرار و التعاليم المعقدة التي يصعب على المفكر الوصول إلى مكنونها و غايتها[3] .

لقد إستطاع الشعب الجزائري الصمود أمام سياسة التنصير و التجهيل التي مارستها السلطات الفرنسية منذ دخولها إلى الجزائر حيث قامت بهدم المساجد و تحويلها و غلق الزوايا و التضييق عليها لدورها الفاعل وسط المجتمع و قد كان لكل من الحكام العامون للجزائر و الرجال العسكريين يداً في هذا من خلال دعمهم و مساندتهم للجمعيات و الفرق التبشيرية الوافدة إلى البلاد و هدفها إعادة مجد المسيحية و إحياء ذكرى الكنيسة الإفريقية ، و هذا من خلال الدعوة إلى المسيحية بشتى الوسائل و الطرق .

---

[1] عبدالحفيظ قريتلي ، المرجع السابق ، ص124

[2] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص384 .

[3] نفسه ، ص404 .

الفصل الثاني : السياسة التنصيرية في الصحراء

1- البعاثات التبشيرية في المناطق الصحراوية

1-1- الصحراء الشمالية

1-2- الصحراء الجنوبية

2- الجمعيات التنصيرية الناشطة هناك

2-1- فرقة الاباء والاخوات البيض

2-2-فرقة اخوان الصحراء

3- طرق ووسائل التبشير

3-1- التعليم

3-2-التطبيب

3-3-الأعمال الخيرية

لقد وضع "لافيجري" و من جاء بعده وأعوانه على عاتقهم نشر وتوسيع نطاق المسيحية إنطلاقا من الجزائر وصولا إلى إفريقيا مرورا بالصحراء وكان لزاما عليه تمهيد الطريق نحو إفريقيا السوداء بنشر تعليم الدين المسيحي وسط سكان الصحراء ، حيث قام بإنشاء مصحات و مدارس و ورشات و مصنوعات محلية و توزيع أغذية و ملابس بإسم الأعمال الخيرية من أجل كسب ويسهل على المبشرين التغلغل والوصول لأهدافهم التبشرية .

1- البعاثات التبشيرية في المناطق الصحراوية :

1-1- الصحراء الشمالية :

بعد أن بسطت القوات الإستعمارية نفوذها وقواتها على المناطق الشمالية للبلاد سعت إلى إحتلال المناطق الصحراوية وإخضاعها عسكريا وسياسيا وحتى ثقافيا من خلال الدور الذي كان يلعبه "الكاردينال لافيجري" الذي قام بإرسال بعثات إستطلاعية إلى المنطقة ، حيث أن الإحتلال الفرنسي و التوسع فيها هو تحقيق لأحد الأهداف الإستعمارية المتمثلة في ربط المستعمارات الفرنسية الإفريقية (إفريقيا السوداء) ولا يمكن لهذا الهدف أن يتحقق إلا بإحتلال الصحراء الجزائرية لأنها تعتبر حلقة وصل .

1- بوابة الصحراء بسكرة :بدأت فريسا في تنفيذ مشروعها الأستطاني في الصحراء بتوجيه قواتها إتجاه مدينة بسكرة سنة 1844م لكن إخضاع هذه المنطقة لم يكن سهلا حيث إصطدمت بمواجهات ومقاومة واحة الزعاطشة التي هي من المقاومات الأكثر أهمية رغم قصر مدتها بالنظر إلى الواجهة التي دامت أكثر من أربعة اشهر من 16 جويلية إلي 26 نوفمبر 1849م[1].

و بعد القضاء على المقاومة وإرساء قواعد الحكم و السيطرة في بسكرة التي تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي ثمانية أيام وهي بلاد البسكريين أو بلاد الجريد وتحتوي هذه المنطقة القاحلة على مدينة كبيرة إلى حد ما ، يقيم بها بضعة ألاف من السكان ، ونجد قربها بئر تروي المنطقة كلها[2].

---

[1] محمد الشريف ولد حسين ،من المقاومة إلى الحرب من أجل الإستقلال 1830-1862،-ص 23 .

[2] سيمون بفايفر ، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال** ، ترجمة وتقديم وتعليق ، ابو العيد دودو، دار هومة ، الجزائر،2009، ص 155.

تعتبر مسألة الوصول الى نجوم الصحراء ومدّ النفوذ المسيح بها أمراً جوهريا عند "لافيجري" بعد أن تمكن من تحقيق تجربتة الإستطانية بواسطة القرى العربية المسيحية بسهول الشلف لذلك كان من الواجب إيجاد مراكز تبشيرية متقدمة من شأنها أن تطلعه على طبيعة المنطقة وسكانها[1].

وكانت بسكرة المركز الرئيسي لإنطلاق ضمانا للتأثير الديني السياسي الفرنسي بهده المنطقة الواسعة مما كان بدوره فتح طريقا أمنا للمبادلات التجارية وللحركية الاقتصادية الفرنسية عامة ، ومن ثم جعل "لافيجري" من بسكرة Lamcienne biscra romaine مركز إقامته الشتوية ابتداءً من زيارته الأولى لها في نوفمبر 1886م[2].

و إضافة الى هذا فقد نشط الآباء البيض والأخوات في المنطقة و قد أمتد نشاطها و إتسع إلى المناطق الأخرى حيث تم تأسيس مراكز في سنة 1872م في كل من تقرت و ورقلة. فمنذ 1854م كان الجنوب في حالة من الثورات و الأضطرابات دون أن نتحدث عن عقد الخمسينات الذي عرف أيضاً ثورة شريف ورقلة (إبراهيم بن فارس) و"ناصر بن شهرة" ، وقد إنتهت هذه الثورات جميعا بالفشل و إحتلال أجزاء كثيرة من الجنوب والتوغل الإستعماري نحو غرب إفريقيا والسودان ، تحت غطاء الإكتشافات والبعثات العلمية والرحالات العلمية والتعاون مع بعض الطرق الصوفية . ونحن لا يهمنا ذلك هنا، ولكن إنتصاب رجال الكنيسة الكاثوليكية ونسائها في مناطق عديدة من الجنوب مثل : غرداية و الأغواط و بسكرة و ورقلة و تمنراست فيما بعد[3] .

2- الاغواط : كان صدى سقوط الأغواط واسع في كامل الصحراء، حيث يتردد بين الناس أن الفريسيين قد كسبوا جزائر أخرى في الجنوب[4]، سنة 1852م بعد معركة طاحنة سقط فيها عدد كبير من رجال الحملة وفي مقدمتهم ضابطان كبيران ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الأغواط قاعدة من القواعد العسكرية الفرنسية وظلت كغيرها من مدن الصحراء الجزائرية الخاضعة للحكم

1- سعيدي مزيان ، المرجع السابق ،ص 338.

2 - نفسه ص 350.

3- ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص 129.

4- ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي فرنسي للصحراءالجزائرية 1837-1934 ،دار هومه ،الجزائر ص 125.

العسكري[1] أن عدد سكان الاغواط ليس كبير ، و هم يسكنون الجبال التي تقع على حدود الصحراء إلي جبال عمورة الأغواط ويعيش بعضهم في تربية المواشي وبعضهم الآخر في الفلاحة[2].

و قد استهل "لافيجري" حملته التنصيرية في المنطقة ، يبعث ثلاثة من الإخوان البيض نحو الأغواط في ديسمبر 1870م وصلتها بعد ستة أيام من صفر متعب لكنهم مرضوا لعدم تأقلمهن مع قسوة المناخ بالمنطقة فأمرهن بالعودة ، أردفت هذه الحملة الإبتدائية بإرسال إثنين من آباء اليسوعين بعدها بقليل إلى نفس المكان (الأغواط) و هما الأيوان "روشي" **ROCHER** و "أوليفي" **OLIVER** ، واللذان يتقنان اللغة العربية ، و لقد إرسل "لافيجري" الأهداف الأولية المتواخات من هذه الحملة والكامنة أساسا في ضمان الممارسات الدينية المسيحية لدى المستوطنين الفرنسيين ومختلف العائلات الاوربية المقيمة بالمناطق و القيام بواظيفة الإرشاد الديني أوساط فيالق الحيش الفرنسي بالأغواط [3]، و يعتبر كل إستعمار إستطاني بالضرورة إستعماراً ثقافياً يهدف إلى محاولة طمس الهوية الوطنية للبلاد المستعمر، وفي هذا الصدد قام سلطة الإحتلال الفرنسي بالعبث بالمساجد و تحطيمها مثل تحطيم مسجدي بوطة وسيدي الغربي ، أو تحويل البعض إلى كنائس مثل مسجد ومستودعات مثل مسجد الأحلاف الذي حول إلى كنيسة ، وبعد تشيد كنيسة جديدة إستلمتها البلدية الإستعمارية و جعلتها مستودعاً.[4]

وبعد زيارة قام بها "لافيجري" للبابا "بابيوس التاسع" إصدر تعليمة أصدرتها نشرية الأرساليات و أوضحت أنه تم تعيين "الأب شارموتان" (**charmotan**) رئيسا لمراكز الأغواط الذي يشكل مقراً رئيسياً لبداية الإرسالية التبشرية واسعة نحو السودان وبلاد إفريقيا السوداء المحيطة بمنطقة البحيرات الكبري ومنه جاء تصريح "لافيجري" في هذا الصدد : « *... أن هذه المنطقة هي هدف ارسالياتنا المستقبلية...* » ، و في حزيف 1872 م إنطلق "الأب شارمونتان" من الاغواط (أخر منطقة وصل إليها الجيش الفرنسي حينها) متوجها نحو ميزاب ، حيث كتب عدة تقارير عن أفعاله وملاحظاته خلال رحته التي إستغرقت شهرا كاملا لخص فيها نظام حياة السكان في المنطقة

1- MANGINLE , notes sur LHISTOIRE DE LAguouat , in Revue Africaine , n37 , anne1893 , p360

2-سيمون بفايفر ، المصدر السابق ص 154.

3- سعيدي مزيان ، المرجع السابق ،ص 338، 339.

4- محمود علالي ، **الحركة الإصلاحية في الاغواط** ، الصندوق الوطني لترقية الفنون والأدب ، 2008. ص74.

[1]، حيث إكتمل الحظ الصحراوي بإحتلال الأغواط ، المتمثل في خط بسكرة وبوسعادة الأغواط والبيض ، الذي تعتمد عليه في عملياتها التوسيعية في الجنوب كما يمكن خضوع كل القبائل التي تخيم على هذا الخط[2] .

3- بنو ميزاب : بعد سقوط الأغواط ووقوعها تحت السيطرة تسارعت جماعة بني ميزاب من بريان بإرسال رسالة خطية الى الجنرال "بيليسييه" مؤرخة ب 12 ديسمبر م1852 ، تطالب فيها بالأمان ،....ورد عليهم الجنيرال برسالة مرسلة من الأركان العامة بالأغواط بتاريخ 14 ديسمبر ، خاطب فيها سكان مدن غرداية المتكونة من: مليكة ، بني يزقن ، العاطف ، بو نورة ، بريان و قرارة[3]. ويسكن هذا الشعب الناحية التي يطلق عليها إسم الزاب ، وهي تقع على حدود الصحراء ، ويمتد قسم منها داخلها وتمر قوافلهم عبر الصحراء لتصل إلى بلاد السود[4].

ففي هذه الصحراء الساكنة المتناسقة تتم المبادلات التجارية بين الميزابيين : توات ، والسودان العربي ، وفيها يمكن التعرف على حياة العرب التي تميزها السكينة وسط واحات الصحراء المخضرة [5].

تمكن "شارموتان" من ربط علاقات مع الشعانبة الذين عاملوه وفق مبادئ التسامح الديني الإسلامي ، حيث أن "سي الاعلى" زعيم أولاد سيدي الشيخ ، ضمن له السلامة والصداقة وفق تعاليم الإسلام ، حتى أنه عرض عليه خيمته وجماله وعرفه بزعماء التوارق الذين بسطوا نفوذهم على المنطقة الممتدة من غدامس إلى فزان ، بعد عودة "الأب شارموتان" وإستعراضه بطريقة إستقبال الشعانبة و الميزابيين له أمام مسمع "لافيجري" بعثه هذا الأخير ثانية بصفته كاهن إلى الأغواط رفقة إثنتين من الآباء البيض وهما الأب "بوشان" و "بولبي" و قد حدد لهما هدفا أساسيا

1-سعيدي مزيان المرجع السابق ، ص 339.

2-ابراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 126.

3- نفسه ، 125.

4- سيمون بفايفر ، المصدر السابق ، ص .163

5- سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص 339.

من بعثهما و يتمثل أساساً في الوصول إلى بسكرة [1]، وبعد ذلك طالبهم بالتقدم نحو بسكرة ، غرداية ، متليلي ، القليعة تم ذلك كله بعد سنتين 1872م و 1873م .[2]

1-2- الصحراء الجنوبية :

بعد إخضاع القسم الشمالي من الصحراء جاء الدور على القسم الجنوبي بما فيه منطقة الساورة ، و التديكلت والهقار، وقد عملت القوات الفرنسية إلى تكثيف البعثات الإستكشافية نحو الجنوب خاصة منطقة الهقار، فبعد سنة 1901م و التي تم فيها إخضاغ أغلب المناطق الجنوبية كتوات تيديكلت بني عباس في إنتظار فتح منطقة الهقار و السيطرة عليها .

و من أجل غرس جذور الإستعمار هناك قامت فرنسا بوضع قواعد عسكرية وحاميات في المناطق الهامة كمركز عين صالح و مركز توات و مركز الساورة و بني عباس .

و في هذا الوقت كان "الأب شارل دي فوكو"(انظر ملحق رقم 6 ص104) يستعد لبدأ مهمته الروحية في الصحراء الجنوبية و تشمل هذه المنطقة الجنوب الغربي للبلاد من إقليم توات حتي تيندوف على الحدود المغربية و حتى الحدود الجزائرية الليبية و كذلك إلى أقصى الجنوب على الحدود مالي النيجر ومن أجل تثبيت فرنسا قدميها في هذه المنطقة وجب تمهيد السبل لهذا بدءت ببعث الروح الصليبية بالمنطقة والتي تكفل بها "الأب شارل دي فوكو" الذي وصل إلي بني عباس يوم 28 أكتوبر 1901م حيث قام بأول قداس[3] ، له هناك معلناً به بداية المد التبشيري في منطقة أقصى الجنوب ، حيث عكف "فوكو" على إقامة الصلاوات و تقديم المساعدات و الإعانات للفقراء من الأهالي و قد عمل على إستقبال الزوار و عبري السبيل الذين كانوا يأوون إليه طلباً للمأوى و المأكل و مشرب و حتى أنه كان يستقبل أشخاصاً في مسكنه لمدة من الزمن ؛ إن الإقامة في بي عباس لم تخدم طموحات "دي فوكو" كثيراً لعدت أسباب مها أنه إنشغل في أعمال الخير و تقديم المساعدات للغير و هذا شغل وقته و منعه من التفرغ للعبادة و هذا ما جعله يعيد التفكير في مستقبله و الأهداف التي جاء من أجلها إلى هذه المنطقة ، و قد جعله هذا يفكر في

1- نفسه ،ص 340.

2- نفسه ،ص 341.

3- حسن مرموري ، **التوارق بين السلطة التقليدية والإدارية الفرنسية في بداية القرن العشرين** ، منشورات المجلس ، الجزائر. 2010، ص 275.

التوغل في الصحراء و التغلغل فيها متجهاً إلى مواصلة العمق في الصحراء و الوصول إلى أبعد منطقة نحو الجنوب حيث القبائل التارقية ومن هنا بدأت رحلت إستقراره بمنطقة تامنغست التي سيواصل نشاطه التبشير آملاً في تمسيح التوارق بحكم أنهم أقل تمسكاً بالدين الإسلامي و تعاليمه و كذا أنهم لا يجيدون العربية كثيراً جاعلاً من تجربة "لافيجري" في منطقة القبائل كمرجع له لكن بأسلوبه الخاص .

2- الجمعيات التنصيرية الناشطة في الصحراء :

2-1- فرقة الأباء والأخوات البيض :

بعد أن بسطت القوات الفرنسية سيطرتها على المناطق الشمالية للصحراء و قد سعى "الكاردينال لافيجري" إلى تعزيز نفوذ التواجد الفرنسي في تلك المناطق إلى تأسيس مراكز تبشيرية يتخذها قاعدة إنطلاق نحو مسيرة تبشير الصحراء وقد إعتمد "لافيجري" في هذا إعتمادا كبيرا على جمعية الآباء في والأخوات البيض حيث قام بتأسيس مركزية لهؤلاء الآباء في ورقلة منذ 1873م ، وبقيت هناك إلى 1881م عند ثورة بوعمامة .ولم ترجع إليها إلا بعد 1891م . وكان لهذه المركزية أربعة من الآباء (القساوسة) ،وكانت تملك دارا للأيتام ومدرسة يتردد عليها سبعون تلميذ وعدد من الكبار ، و كان لها أيضا مصحة و ورشة للنسيج ،وأخرى ألية للتريكو وثالثة للتجارة، ومنشأة للإسمنت . وقد تطورت المركزية مع الأيام فأصبح لها ندوة أسبوعية للتعليم والتوجيه والترفيه . وكان الآباء يملكون في الناحية الأخرى النخيل والبساتين وقد حفروا بوسائلهم بئرا إرتوازية تمد منطقة ورقلة بالماء الصالح للشرب و كانت الحكومة تحميهم وتمدهم بالمساعدات ، و هم يفتحون لها الطريق و يقدمون له المعلومات الضرورية عن القوافل و الثورات و الزواوة و غير ذلك من التحركات في المنطقة[1].

بعد أن أسس الآباء هذه المناطق التبشيرية بالصحراء الجزائرية عمل هؤلاء رفقة الأخوات البيض اللاتي جئن بعدهم على بث سموم التبشير بالصحراء بإستعمال نفس الوسائل المستعملة بمنطقة القبائل مع مراعات طبيعة المنطقة ففي غرداية فتح الآباء مدرسة تكوينية لتعليم الشباب صناعة الجلود و بورقلة فتحت اللأخوات مراكز تكوينية (OUVROIR) لتعليمهن الطرز وطرق

1-ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ص 103.

نسيج الصوف أما الآباء فعملوا على فتح ورشة للأسمنت و الخزف و التي سيكون لها رواجا كبيرا في أسواق الجنوب الجزائري .

أما في الجلفة فهؤلاء فتحوا مصانع للحلافاء وورشة لصناعة السلال و القفف [1].

أما عن مركز ببسكرة يعتبر المركز الرئيسي لإنطلاق الدعاية التبشرية بالصحراء و السودان الغربي على أوسع نطاق ضمانا للتأثير الديني السياسي الفرنسي بهذه المنطقة الواسعة مما كان بدوره يفتح طريق أمنا للمبادلات التجارية وللحركية الإقتصادية الفرنسية عامة [2].

لقد عمل الآباء و الأخواة البيض على تعليم سكان المناطق الصحراوية الحرف والصناعات و الأشغال اليدوية وكذا كسب ودهم وهذا من أجل التجسس على الناس والتعرف على أنماط تفكيرهم و عقائدهم و علاقاتهم للإستحواذ عليهم و كل ذلك كان تحت شعار الدعوة إلى المسيحية و إخراج السكان من التخلف و ربطهم بالثقافة الفرنسية عموما هذه المراكز سيكون لها شأن عظيم في دفع الحركة التبشيرية بالصحراء الجزائرية و خاصة بعد موت "الكاردينال لافيجري" لكن الفضل يعود إليه في تأسيسها ، فهو الذي بذر بذور التبشير بالصحراء الجزائرية والتي أينعت بعد موتة و لو بصفة نسبية لقد لعب الآباء و الأخوات البيض الدور الأكبر في نشر المسيحية بمختلف الطرق و الوسائل مؤمنين باليوم الذي تتحقق فيه أمالهم بتنصير الجزائر وحتي تنصير أفريقيا أيضا وقد أعتمد "لافيجري" على هذه الجمعية التي أسسها بنفسه لنشر تعاليم الدين ولكن بطرق خفية وكذا أمر أعوانه بالتعايش مع السكان والتآلف والتأقلم مع الظروف المعيشية لهم ليسهل في الأخير تنصيرهم وضمهم للحضارة الفرنسية كما كان يدعي .

1-سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص 349.

2- سعيدي مزيان، المرجع السابق،350.

2-2- فرقة اخوان الصحراء :

فرقة أو جمعية إخوان الصحراء المسلحين التي أسست ببسكرة سنة1891م(انظر الملحق رقم 1 ص) و يدعي مؤسسها أن مهام أعضائها هي مكافحة بيع الرقيق في أفريقيا .إلا أن الأمر غير ذلك إذ يهدف إلى حماية المبشرين نتيجة هلاك الكثير منهم في الجنوب الجزائري[1] ؛ وكذا الحفاظ على حركة التنصير بقوة السلاحة خاصة بعد أن قام أهل الجنوب بقتل جماعة من المنصرين الذين أساؤا إلى الدين الإسلامي و إستفزوهم في عقيدتهم كالأب "بولمي" والأب "مينوري" والأب "بوشوا" و الهدف الأخر من إنشاء هذه الحركة هو إستكشاف الصحراء و تسهيل وصول العسكريين لبسط النفوذ الفرنسي في أعماق الصحراء[2].

و بسبب تصاعد التنافس بين القوة الاستعمارية الفرنسية و الإنجليزية و كذا تزايد تعرض الآباء المبشرين الى القتل فرأ "لافيجري" وجوب تأسيس و إنشاء فرقة عسكرية دينية لتأمين المبشرين وكان هذا في السنين التي كانت قبل موته : فأدخل بذلك الآباء (السلاح) حلبة التبشير المسلح بالصحراء وهي سابقة في تاريخ النشاط التبشيري بالجزائر، الأمر الذي يدفعنا إلى إستجلاء أصول أنشاء هذه الفرقة الدينية العسكرية[3] وإخفاء أثرها و إظهار مدى أهميتها في بسط النفوذ الديني و الاستعماري الفرنسي بالصحراء الجزائرية منذ تدشين مركز الإخوان المسلحين بمسالة (ببسكرة) من قبل "لافيجري" بعث من قبل رئيس المكتب العربي بغرداية "النقيب قوردون" **CAPITAN GORON** وزميله من مكتب ورقلة الملازم "منفين" إلي "لافيجري" بغيت إنشاء مركز للإخوان المسلحين بكلتا المنطقتين فأرسل "لافيجري" في 25 فيفري 1891م الابوين "فيراكس" و"مارشال" والأخ "إيميل" على ظهر الجمال مرورا بتقرت و وصولا إلى ورقلة فاستقبلهم رئيس المكتب العربي **منفييل** والمترجم العسكري السيد "انجر"**(ANGER)** وضابطا بالبرج وأقام الآباء القداس في 03 مارس 1891م .

1- محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص 39.

2- حميد فريتلي ، أضواء على التنصير و المنصرين في الجزائر (1830- 1892) ، مجلة الدراسات التارخية ، العدد 15 و 16 الجزائر ، 2012- 2013 ، ص 334.

3-سعيدي مزيان المرجع السابق ،ص 352.

أوكلت لفرقة الإخوان المسلحين مهمة ثانية تمت بعد ذلك حيث أن الحاكم العام "تيرمان" أوضح لوزارة الداخلية أهمية السيطرة على إقليم توات وقورارة وما يلفت الإنتباه أن "فليبير" كلف من طرف الإدارة الفرنسية بمشروع الحملة العسكرية على المنطقة فأدرج في حملته ضرورة فتح مركز للإخوان المسلحين قرب إيغلي المتواجدة في الطريق المؤدية إلى عين صالح ،وهذا المركز من شأنه أن يضمن الأمن في المنطقة ،..... إقترح النقيب "فوردن" إنشاء مركز للإخوان بالقليعة ، كما أن "كامبون" الحاكم العام زار بنفسه بسكرة وشجع رئيس الإرساليات التبشيرية بالصحراء الأب "تولون" للمضي قدما دون تأخير مما شكل دعما رسميا للنشاط التبشيري بالصحراء الجزائرية ،مما جعل هذا الأخير يرسل رئيس الفرقة إلى عين المكان وهو الأب "هاكار".

حيث وجد الظروف مناسبة لإقامة الأخوان المسلحين بها ، الأمر الذي كان يمثل خطوة هامة .

لقد حققت هذه الفرقة نجاح كبير حيث تحصلت على الإعتراف من طرف جميع القوى الأوربية المجتمعة في مؤتمر بروكسل وكذا من طرف جميع البابااليون الثالث عشر والذي وضعها تحت سلطته المباشرة ، وقد قام منذ مدة قريبة بتوجيه نداء ألى المسيحيين في العالم أجمع لتوفير الوسائل الضرورية للإرساليات التبشيرية الإفريقية حتي تطور الخدمات الموجهة ضد بيع الرقيق[1] .

1-سعيدي مزيان المرجع السابق ،ص 376.

3- طرق ووسائل التبشير:

3-1- التعليم : يعد التعليم احد أهم وسائل التبشير التي اعتمد عليها المبشرون ،وقد إعتمد الآباء البيض في نشاطهم التنصيري على المدرسة وهي شرط أساسي لنجاح مهمتهم حيث إهتم هؤلاء المنصرين بالأطفال الصغار لتحقيق أهدافهم وكان هذا :

1- عن طريق المدرسة : يمكن للمبشرين أن يحتكوا بالسكان والتغلب على المشاكل الرئيسية التي تواجههم كالتعصب لدينهم .

2- سهولة التأثير على الأطفال : وتلقينهم مبادئ النصرانية لكونهم لم يتشبعوا بعد بدين أجدادهم الإسلام .

3-لم يصل النمو العقلي عندهم إلى مستوى يمكنهم من أن يكتشفوا نوايا المبشرين التنصرية .

4- الوصول الى أحدث تغيير في معتقدات المجتمع الإسلامي لكي يصبح نصرانيا في المدى البعيد.

5-إعداد الرجال الذين ستعتمد عليهم الكنيسة الوطنية في المستقبل .

و ما يؤكده كذلك إهتمام وإصدار المبشرين على التركيز على الأطفال في التعليم ،التبشير هي المادة الخامسة من قوانين الأسقفية لنشر المسيحية في الجزائر(انظر ملحق رقم 1ص) "إن الأطفالهم الأمل المرتقب لمهمتنا عند الكفار ليحظون أكثر بالعناية الأبوية وستعمل على جلب الأولاد بواسطة وسائل بسيطة إلى المدارس أولا ، ثم إلى الكنائس ،سنبين لهم وبتحفظ كبير بأننا نحبهم ، اما البنات الصغيرات فيتولى رعايتهن الخاصة المبشرات أو معلمات المدارس".[1]

و تعتبر الراهبة "إملي دوفيلار" أول من قامت بفتح مدرسة البنات بمدينة الجزائر سنة1836 خدمة للغرض الديني التنصيري والتي بدورها تلقت كل الدعم والمساعدة من الملك لويس فليب وزوجته على السواء.

أما المحاولات الاخرى لنشر التعليم التنصيري فكانت مع فرقة "الجزويت" في منطقة القبائل فقد وفدوا الى هذه المنطقة سنة 1863 و يعيش الاب "كروزات" من الآباء اللذين قاموا بهذه

1- خديجة بقطاش المرجع السابق ،ص 70.

المحاولات بهذه المنطقة حيث قام بفتح قاعة لتدريس اللغة[1] الفرنسية يدير الاربعاء "نايت ايران" غير ان محاولاته اصطدمت برفض الاهالي ثم الادارة الفرنسية[2].

اما عن نوعية التعليم التبشيري الذي كان يقدم للجزائريين فتم وضع نوعين من التعليم هما (التعليم الحرفي والتعليم العام).

أ-التعليم الحرفي(المهني): يهتم التعليم المهني الذي اسسه المبشرون في الجزائر بمنح الاطفال بعض المهن التي كانت شائعة في ذلك الوقت وكثيرا ما كان يستجيب لخصوصيات كل منطقة.

و ينقسم التعليم المهني (الحرفي) في الجزائر الى ثلاث انواع :

1-التعليم المهني الموجه للذكور : وقد خص به يتامى 1867 ويغلب عليه الطابع الزراعي(....).

2-التعليم المهني الموجه للإناث :لقد اهتم هذا النوع من التعليم بالنسبة لبنات الجزائريين فنون التدابير المترلية وما يحتوي من اشغال الابرة والترقيع والصوف والسلال (...)

3-تعليم الكبار : لم يدخر مبشرو جمعية الاباء البيض اي جهد في سبيل التبشير[3] .

وقد اراد المبشرون من وراء انشاء تعليم مهني للجزائريين هو تكوين عمال مهرة من جهة ومنتصرين من جهة اخرى.

ب-التعليم العام : يعتبر التعليم العام ، أي تلقين الأطفال الجزائريين بعض العلوم النظرية إلى جانب اللغة الفرنسية .

والتعليم العام يوجد في ثلاثة أنواع من المؤسسات هي :

- **المدارس الإبتدائية** : وهي نوعان كذلك.

- **مدارس إبتدائية أولية** : تعد تلاميذها لإجتياز إمتحان الشهادة الإبتدائية الخاصة بالأهالي الجزائريين

1- خديجة بقطاش ،المرجع السابق، ص142

2-محمد طاهر وعلي، المرجع السابق ، ص126-127

3- نفسه ، ص126-127

– **مدارس إبتدائية عالية** :يحضر فيها التلاميذ شهادة الأهلية

ج– التعليم الثانوي ثانوية :خاصة بأبناء الجزائريين غير أن التعليم الثانوي يعطى للموهوبين منهم في (السمنار الصغير(يولوغين) الذي كان يهدف إلى تكوين النخبة الموالية لفرنسا والمدافعة عن المسيحية[1] في الجزائر.

حظيت المدرسة في أوساط المبشرين بعناية كثيرة فمنذ أن بلغ أطفال الغرب الجزائريين سن التمدرس شرعن الأخوات البيض الإعتماء بهم في شكل تعليم تحضيري ، بعد ما إقتسم الآباء و الأخوات البيض العبء فإهتم الآباء بتعليم الذكور واهتمت الأخوات بتعليم البنات و الواقع أنه منذ سنة 1865م بعد زيارة نابليون الثالث للجزائر بد أت قضية تعليم الجزائريين تلقى نوعا من العناية و الإهتمام وفي هذا الصدد إقتراح الحاكم العام "ما كمهون" **MacMahon** بموافقة مدير التربية والتعليم بالجزائر السيد "دولاكروا" **Delacroise** أن تكون البرامج التعليمية في المدارس العربية الفرنسية مشابهة للمدارس الفرنسية في فرنسا مع فارقين اثنين :

1– إعطاء مكانة خاصة للغة العربية في هذا البرنامج وتوسيع نطاقها

2– أن يكون للتعليم الإسلامي نصيب من هذا البرنامج إلا أن هذا كله لم يحصل و هذا بسبب معارضة الأروبيين لهذه البرامج الخاصة حيث أنها لا تخدم سياسة فرنسا في الجزائر فقد كانت محاولة لتجنب غضب و عداء الجزائريين للمدرسة الفرنسية التبشيرية فلا اللغة العربية لاقت عناية و لا الدين الإسلامي إهتماما و قد أهملت البرامج التعليمية الفرنسية الخاصة بالتعليم الجزائري اللغة العربية حتى الطرد الفرنسي من الجزائر و لم تستطيع برامج سنة (1890–1898م) أن تنقذ مصير اللغة العربية من الزوال أما الدين الإسلامي أي بمعنى آخر الطابع الديني للتعليم الجزائري ظل العدو الأكبر الذي عملت الإدارة الفرنسية على القضاء عليه وطوال الوجود الفرنسي كانت مطالب الجزائريين الأساسية تتركز حول المسألتين اللغة العربية والفرنسية والدين الإسلامي .

و قد عرف تعليم الاهالي في الجزائر بمرحلتين هامتين من 1830الى 1904 :

1–محمد طاهر وعلي ،المرجع السابق، ص128

2– سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص325

3–عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص52

المرحلـــــة الأولى : تمتد من 1830-1867م تميزت هذه المرحلة بـــإنعدام التعليم التبشيري للأهالي رغم وجود التعليم التبشيري الموجه لأبناء الأوربيين، إلا أنه لم يستطيع إستقطاب إهتمام الجزائريين لكي يرسلوا أبنائهم إلى مدارس ، يعود غزو فهم إلى طبيعة التعليم المقدم ، إذ يرفض على التلاميذ دراسة مادة التربية الدينية المسيحية إلى جانب التراتيل الدينية التي يقوم بها التلاميذ كل يوم ثلاثاء وسبت ، كما كانت تعلق على جدرانها الصليب و الصلبان ، ففي 16أفريل1853م صدر مرسوم ينص على إنشاء مدارس عرفة بإسم المدارس الكاتشية catechistes ذات توجه مسيحي[1].

المرحلـــة الثانية :1867- 1904م تميزت هذه المرحلة بتعيين "المطران لافيجري" أسقفا جديدا على الجزائر ،وهو الذي 'شهر سيفه ضد الإسلام ولوح بعلم التبشير المسيحي وكان متحمسا لخدمة مصالح فرنسا الإستعمارية في الجزائر عامة ومنطقة القبائل والصحراء خاصة [2].

و في سنة1856م دشنت أول مدرسة في مدينة الأغواط وكانت أول مدرسة في الجنوب ، كانت في سنواتها الأولى مقتصرة على أبناء المعمرين واليهود ،ثم فتحت أبوابها إلى أبناء المنطقة خاصة ابناء العائلات الكبير و الموالية للأستعمار ، كما تم فتح مدارس فرنسية أخرى مثل سنة 1863م في كل من الأغواط المدينة وعين ماضي[3] .

و منذ 1886م نقل الآباء البيض مراكزهم التبشيرية إلى الأغواط وتم إنشاء مدرسة خاصة بالأخوات البيض les sceus blanches وعملت في ورقلة سنة 1873م، و تقرت سنة 1878م و القليعة .

هذا التعليم كان تنصيريا بالأساس لأنه لم يكن الى تثقيف وتعليم الأطفال بقدر ما كان يهدف الى تنصيرهم وإدماجهم وإخراجهم من دينهم الإسلامي ولغتهم العربية ، و يظهر هذا من خلال نوع البرامج المقدمة التي تضم مواضيع عن الديانة المسيحية والكنيسة الإفريقية .

---

1 - محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص 73.

2- محمود علالي ، المرجع السابق ، ص 77.

3 - George hirts, **Laghouat,leslarbàa , les mekhlifs ,la zaouia tidjania essai sur évolution sociale et polique de la région de laghouat** , (ed.Mseille 1989) , pp11-12

3-2- التطبيب :

ظهرت أهمية العلاج كوسيلة من وسائل التبشير في أواخر القرن التاسع عشر؛ يعتبر التطبيب في العمل التبشيري أكثر شمولا من الوسائل الأخرى وأبلغ أثر ، لأنه موجوه للصغار و الكبار من المواطنين على حد سواء ، وهذا من جهة ، ومن جهة أخرى قد يكون وقعه على نفوس الأفراد أكثر تأثيرا ، لأن الأمر يتعلق بمعالجة أمراضهم و التخفيف من آلامهم[1]،حيث إتجه الأسقف إلى المستشفيات ، التمريض يعين على التبشير، فالمبشر يستطيع أن يجد في غرفة الإستشارة أو حجرة المريض ، فرصاً مناسبة لينشر بذور التبشير في قلوب المرضى .

و قد إستغل المبشرون لأداء مهمة التبشير الراهبات الممرضات لأن الممرضة في نظرهم لا تعمل على تخفيف الألم فحسب ، بل تحمل اليهم رسالة السيد المسيح[2] .

لقد إستخدم المبشرون التطبيب في الجزائر كوسيلة للتبشير بطريقتين قد لا تختلفان عما يقوم به المبشرون في أنحاء أخرى وتتمثل هتين الطريقتين في:

أ- إستقدام المواطنين إلى المستشفيات التي أقاموها لهذا الغرض .

ب- علاج المرضى منهم والجرحى في الحوادث المختلفة في منازلهم.

1-المستشفيات : أدار المبشرون في الجزائر إثنين من المستشفيات يقدمان خدماتهما للأهالي أحدهما أقيم بالعطاف ، أسسه "لافيجري "سنة 1886م وسماه بيت الله و الثاني أسسه "جول كامبون" حاكم الجزائر العام في بني منقلات بمنطقة القبائل الكبرى سنة 1894م و منح الإشراف عليه وتسييره للأخوات البيض scours blanches وأطلق على إسم مستشفي "سانت إليزابيت" **set elisabeth** .

2-علاج المرضى في منازلهم : إن إنتقال المبشرين إلى العمل في التبشير ،ذلك أن دائرة إحتكاك المبشرين بالمواطنين ستتسع أكثر ، إذ لا يتعلق الأمر هنا بالمريض الذي سيعالج فقط ، بل يتعداه إلى أهله ، ومنه قد يصل أيضا إلى الجيران [3].

1-محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص86

2-خديجة بقطاش ، المرجع السابق ،ص 56.

3- محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ،ص 88.

وتكمن أهمية التطبيب في الدعوة إلى النصرانية في كونه أحد دعائم العمل التبشيري في الجزائر، والذي بواسطته يمكن للمبشرين أن ينفذوا مخططاتهم التبشيرية بدون أن يلاقوا أي ردة فعل من طرف الجزائريين وهكذا :

-فالطبيب إذ هو الوسيلة التي تسمح للمبشرين بالإتصال المباشر مع الجزائريين لربح ثقتهم أولا ، وبعد ذلك العمل على تصحيح أفكارهم المسبقة عنهم ، و تغيير نظرتهم تجاههم أو تجاه الفرنسيين عموماً ، في نهاية الأمر ، الوصول إلى عقد صلات متينة ، وعلاقات وطيدة مع أهل البلاد لضمان بقائهم و الاستمرار في مهامهم التبشيرية [1]، و ترويج دعاية بينهم ، مفادها أن الجنة لا تكون إلا من نصيب الذين يعمدون قبل الوفاة ، أما بالنسبة للجزائريين الذين يعالجون في ديارهم ، فإن محاولات المبشرين لتنصيرهم ، وتتم بشكل غير مباشر ، أن يحاولون أن يوهموا الأهالي بأن ما قاموا به من تقديم الإسعاف والعلاج ،ناتج من كونهم (مسيحيين ، وأن العناية الإلهية هي التي أملت عليهم القيام بهذه المهمة) [2].

3-3 الأعمال الخيرية :

إن الأعمال الخيرية حيزاً واسعا حيث يشمل التعليم والتطبيب كنوع من الأعمال الخيرية فالعمل الخيري في نظرهم هو بمثابة السلاح الأول ، الذي بواسطته يدخل المبشرون إلى قلوب الناس ، ليتركوا فيها آثار أبدية ، وقد أكد عليه "لافيجري" حيث أوصى مبشريه بالحرص على إستخدامه لما له من تأثير في تقريب الجزائريين إليهم ، إن الأعمال الخيرية التي إستخدمها المبشرون في الجزائر منتوعة ، ويتجهون في أغلب الأحيان نحو المحتاجين ، لإدراكهم بأن هؤلاء أكثر سهولة للوقوع في مخالب هذه الأعمال[3]

وقد الح "لافيجري" على كون الإحسان والعطف والإخلاص وهي العقيدة التي فرضتها المسيحية ، كأنجح السبل لإنجاز الأعمال التي فرضت سلفا بالسيف ، فخاطب الآباء قائلا : «...

1- محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص 88- 89

2- نفسه ، ص 90.

3- نفسه ، ص 91.

ساعدوا الفقراء وعالجوا جراحهم وداو و مرضاهم ، إنكم بذلك يشرفون عقيدتهم ويخدمون المسيحية ذلك أن طريقتنا لخدمتها والدفاع عنها ليس لجعلها مخيفة ومروعة بل لتجعل الآخرين يحبونها...» [1] .

و من أبرز الأعمال الخيرية التي كانت فاعلة كوسيلة لنشر الدين المسيحي هي :

أ- الأهتمام باليتامى : بدأ أول مشروع تنصيري في الجزائر إثر مجاعة سنة 1876م وقد جمع **لافيجري** خلال هذه الكارثة ما يقرب من 1752 طفلا جزائريا في الجزائر العاصمة (ابن عكنون ثم الحراش).

ب- تقديم المساعدة للمقبلين على الزواج من المنتصرين :

إن اهتمام المبشرين بتكوين أسر من المنتصرين الجزائرين كبيرا جدا ، لقد أدركوا أن إعادة المسيحية إلى الجزائر[2]. وفي 2 يوليو (جويلية) 1872 م إحتفل **لافيجري** بأول زواج بين الشباب الذين كونهم وعمدهم[3] ، حيث تكفل ب:

- البحث عن خطيبة بالنسبة للمنتصر وتقديم المهر لأوليائهم.

- توفير المسكن للمتزوجين من المنتصرين .

- تقديم مساعدات مالية لهم .

- إنشار صندوق المهور الذي يجمع المبالغ المالية التي يدفعها الشبان والشابات الجزئريون ، الذين يعملون عند المبشرين .

ج- تقديم الهدايا للجزائريين :

عمد المبشرون من أجل جلب الجزائرين نحوهم إلى تقديم الهدايا ، وخاصة في عيد الميلاد ، وتتمثل هذه الهدايا في قمصان للبنات و شاشيات للبنين ومنادين وفساتين للنساء[4]، كما كانت صورة المسيح من هداياهم كذلك عندما يريدون التعريف بالدين المسيحية .

1-سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص222

2-محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص91

3-ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص127

4- محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص 93.

د- المساعدات المالية : على الرغم من أن كل الوسائل التي إستخدمها المبشرون قائمة على المال إلا أنهم من أجل بلوغ أهدافهم التنصيرية لم يبخلوا في تقديم مساعدات من هذا النوع للجزائريين وقد إتخذت هذه المساعدات طابعين.

الأول : تقديم هذه الأموال على شكل هيبات للمحتاجين من الجزائريين ولغير المحتاجين

الثانية : تقديم هذه الاموال على شكل مرتبات للجزائريين الذين يشغلون في مدارس المبشرين أو مستشفياتهم أو غيرها[1].

لم يخفي الهدف من العطاءات المجانية وغيرها من الأعمال الخيرية فما هي إلا وسيلة للوصول إلى غاية أسمى كما يقول :" بذلك سنصل شيئا فشيئا وبالتدريج ، الصدقة ، العلاج ، شراء ، وتحرير العبيد .....كلها ستصلح القلوب وتفتح الطريق أمام التبشير المستمر ، الذي يكون أكثر سرعة كلما كانت هذه الإهتمامات كثيرة وصادقة"[2] .

إن مسألة تنصير الصحراء ونشر المسيحية في ربوعها هي واحدة من السياسة الإستعمارية الفرنسية في سبيل إعادة مجد المسيحية وإعادة بعث الكنيسة الإفريقية ، أين وضع "الكاردينال لافيجري" أُسس وقواعد تمهيدا لتوسيع النفوذ و فرض السيطرة و هذا بفضل جهود الآباء والأخوات البيض وفرقة إخوان الصحراء المسلحين التي عملت على نشر المسيحية وسط سكان الصحراء مستغلة طيبتهم وسذاجتهم ، و كذا تمهيد الطريق أمام توسع الجنود حيث كانت تسعى من خلال فتح الصحراء هو ربط المستعمرات الإفريقية و إيصال صوت المسيح إلى قلب إفريقيا.

□

1-محمد طاهر وعلي ، المرجع السابق ، ص93

2-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص 276.

□

□

الفصل الثالث :دي فوكو و نشاطه فى أقصى الجنوب □

1- شخصيته □

1-1-مولده و حياته □

1-2-أعماله و إنجازاته □

2- نشاطه في الصحراء من 1901م□

2-1-مكوثه في بني عباس □

2-2- طموحه في المنطقة □

3- إقامته في تمنغست من 1905-1916م □

3-1- مجيئه إلى المنطقة

3-2- علاقة شارل بالطوارق□

3-3- نشاطه في تمنغست□

□

إن "شارل دي فوكو" يعتبر من أبرز الشخصيات الفرنسية الفاعلة في مجاله العسكري أولاً و الديني ثانياً و قد نشط في الصحراء الجزائرية حيث عمل كمبشر هناك ، و قد كان أخطر المبشرين قاطبة ، و خطورة "فوكو" تكمن في أنه عقلية علمية من الدرجة الأولى و كذا أنه يحمل في نفسه شعلة متقدة من الإيمان و يجد لذة في تكبد المشاق و المتاعب و التضحية بالراحة و متع الحياة .

لم يبلغ "شارل دي فوكو" درجة "لافيجري" في المنصب الديني الرسمي ، لكنه بلغ درجته في الشهرة و الخدمة التي أدّاها للكنيسة من جهة و الإدارة الإستعمارية من جهة أخرى[1] .

1- شخصيته

1-1- مولده و حياته :ولد **charles-eugéne de Foucauld** يوم 15 سبتمبر 1858م بستراسبورغ في إحدى الأحياء الراقية للعائلات النبيلة ، التي تنتمي إليها عائلته من **Périgord** التي تعود جذورها إلى نهاية الألفية الأولى 970م ، كان أحد أجداد فوكو Hugues Foucaul يساهم بكثرة في مباني العبادة "الدير" بمنطقة ، لذلك تبلورت مبكراً تقاليد خدمة الدين و الوطن من طرف هذه العائلة ، تكفل برعاية الطفلين فوكولد 6 سنوات و "ماري" 3 سنوات جدهما العقيد De morlet الساكن بستراسبورغ .

بدأ فوكو دراساته الأولى بمدرسة الأسقفية Saint-arbogat و التي أسست سنة 1851م من طرف **Mgr André race** ،و في أكتوبر 1874م دخل مدرسة اليسوعيين (الرهبان) Larue des postes بباريس و رغم تحضيراته المتقطعة في مدرسة Rue des postes فقد أجرى بنانسي إمتحان القبول بالمدرسة العسكرية الخاصة سان سير مفخرة الضباط الفرنسيين . و في 30 أكتوبر 1876م تحصل على المرتبة ال82 من بين 412 طالب ناجح . لقد دخل مدرسة سان سير و هو في الثامنة عشر من عمره . كانت آنذاك تحت قيادة الجنرال **De Brigade Hanrion** [2] ؛ و في 1878م تخرج من كلية سان سير العسكرية و مارس وظيفته كضابط في كل من Saumur و Pont mousson ، و بعدها تحول إلى الجزائر

1-ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص 133

2-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص253-256

للعمل في صفوف الجيش الفرنسي[1] ، حيث إنضم إلى فرقة صيادي إفريقيا الرابعة ، فإستقر بها الوضع بسطيف . و إستمر "فوكو" في سلوك الإضطراب و الإنحراف و التبجح في حياة غير مستقرة و غير منتظمة ، و من جهة أخرى كان على علاقة غير شرغية بمستوطنة فرنسية بسطيف . لا نصائح مسؤوليه و لا أوامر رؤسائه و توبيخاتهم إستطاعت أن تثنيه أو تؤثر فيه . كان مثالاً سيئاً حسب شهادة قريبه الجنرال **Gamelin** . لقد رفض الإنصياع و أختار الضياع . و هكذا طرد في 20 مارس 1881م لعدم الإنضباط و عدم تنفيذ الأوامر[2] . لم تعرف حياة "دي فوكو" الإستقرار و الإنضباط و هذا منذ وفاة جده ، حيث كان لذلك تأثير ظاهر في توجه حياة **فوكو** ، حيث تغيرت إنشغالاته و عزف تماماً عن الدروس العسكرية لصالح الأدب و الحرفة ، و لم يعد للجد و النظام مكان في إهتماماته[3] .

1-2- أعماله و إنجازاته:

لقد كان "شارل دي فوكو" رجلاً دائم النشاط و الحراك حتى بعد إستقالته من الخدمة في الجيش الفرنسي حيث كانت حياته كلها مجون و إدمان على الخمر و تعاطى لعب القمار ، و تتميز بالعراك المستمر و لقد كان جد عنيف إلى دجة أدت به ذات أمسية و هو في حالة نرفزة ، أثناء لعب القمار ، إلى قتل ضابط آخر كان قد إستفزه ، و كان الجميع أن يصدر في حقه حكم الإعدام و لكن ذويه قاموا بالعديد من المساعي و الشكاوي فأطلق صراحه و إتجه إلى مدينة القدس و أقام بها ثلاث سنوات مكنته من التنقل إلى نزريخ Nazaret و بيت لحم ثم إعتنق الدين و عاد إلى فرنسا ليضع نفسه في خدمة الدين و المخابرات الفرنسية في شمال إفريقيا و بعدها عاد إلى الجزائر و مكث سنة كاملة في باردو، حيث تلقى المبادء الأولية في الطبوغرافيا و علم الفلك و الجغرافيا و علم إجتماع شمال إفريقيا[4]، و ما إن قبلت إستقالته حتى ذهب "فوكو" إلى الجزائر لتعلم اللغة العربية و العلوم الواجبة لتحقيق المشروع ، و عمل تحت إدارة **Mac-carthy**

-عبد السلام بوشارب ، الهقار أمجاد و أنجاد ، المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار ، الجزائر ، 1995م ، ص 1101

2-مرموري ، المرجع السابق ، ص258

3-نفسه ، المرجع السابق ، ص257

4-عبد السلام بوشارب ، المرجع السابق ، ص114

محفظ المكتبة . و المتحف و قد إستفاد كثيراً من كتابات هذا الأخير حول عادات و لغة سكان المغرب ...

لقد كان لفوكو رغبة في إكتشاف المغرب و الإطلاع على حياتهم و خاصةً أن المغرب كان مغلقاً على الأوروبيين آنذاك ، و للسكان عداء تجاه النصارى ، مع العلم أن المغرب لم يسقط بعد تحت حماية السلطات الإستعمارية الفرنسية ، و قد كانت مغامرة "دي فوكو" التي إلى المغرب هي مغامرة ذات أهداف تتمثل أساساً في جمع كل الإستعلامات الضرورية للمساعدة على إحتلال المغرب[1] ، و قد عكف "شارل دي فوكو" على تسجيل مذكرات حول الطبوغرافيا و الأماكن التي مروا عليها ، و درجة خصوبتها و الوديان و تضاريس المواقع و تجمعات السكان ، و كذا أسماء قبائلهم و حال علاقاتهم مع السلطان[2].

و من اجل تحقيق اهدافه من هذه المغامرة كان لزاماً عليه أن يتنكر في هيئة يهودي مغربي ، و بعد أن أنهى تحضيرات إنطلق يوم 10 جوان 1883م من الجزائر في رحلته التنكرية و إسمه المستعار الحاخام **Joseph alaman** [3] ، و أثناء الرحلة توقف بضعت أيام في تلمسان قضوها مع الجالية اليهودية بهذه المدينة و بعدها دخلوا المغرب الذي يعرفه رفيقاه تمام المعرفة إذ أنهما تجولا فيه طولاً و عرضاً سنوات عديدة بالإضافة إلى أن لهما إرتباطات وثيقة مع اليهود المقيمين هناك ، و كعادتهما جابا المغرب مرفوقين هذه المرة بشارل دي فوكو ، مستدلين ليلاً بالنجوم و مستعملين البوصلة نهاراً ، و أثناء التنقل يلاحظون كل الأجزاء و يسجلون بالخصوص كل ما كان مهماً بالنسبة لمهمتهم السرية ، كما أنهم ينعزلون جميعاً كل مساء في الأماكن الخفية ليسجل "شارل دي فوكو" مذكراته على ضوء الشمعة .

و قد كان يحمل في عنقه مجموعة من الحجابات المصنوعة من الجلود العريضة التي هي في الحقيقة أكياس يخبئ فيها الوثائق التي يحصل عليها و المعلومات التي سجلها[4] .

1-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص261

2-عبد السلام بوشارب ، المرجع السابق ، ص115

3-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص262

4-عبد السلام بوشارب ، المرجع السابق ، ص114

تمكن "فوكو" من أن يزور أبرز المناطق المغربية إبتداً من طنجة ثم تيتوان التي بقي فيها عشرة أيام ، ثم توجه إلى فاس و مكث فيها طويلاً إستطاع "فوكو" أن يقوم بإستطلاعين الأول إلى "تازا" و الثاني إلى "سفروا" زار في طريقه إليهما كل من مكناس ، زاوية "مولاي عبد الرحمان" ، وتادلة .

قدم فيها وصفاً للوضع السياسي و الإجتماعي و وجه إنتقادات شديدة لسياسة السلطان و تعسف رجاله و جبروتهم و تشديدهم على الضرائب دون النفقة في الصالح العام إلى جانب مكانت اليهود و وضعيتهم كما قدم معلومات عن بعض القبائل المسيطرة و مجالها الجغرافي قائلاً : "أخذنا من مكناس إلى تادلة لا يوجد سوى غابات و جبال تسكنها قبائل متوحشة ، زمور السلاخة ، زيار زيان ، و بالمنطقة سهل كبير من الحصى و تستوي على مساحة عظيمة" ، كما قدم وصفاً دقيقاً لمنطقة تيكيرت الصحراوية من الناحية الجغرافية و المناخية[1].

إنتهت مغامرات "فوكو" بنتائج حاسمة على المستويين الجغرافي و العسكري ، فقد كتب **Duveyrie** تقريراً في 24 أفريل 1884م عن مغامرة **فوكو** بالمغرب في مؤسسة الجغرافيا بباريس[2] كما توجت رحلته بكتاب ضخم تحت عنوان[3]Recomnaissance au Maroc الذي نشر سنة 1888م ، و سبقه مقال نشر في مجلة الجمعية الإفريقية بعنوان Itineraireau maroc يلخص فيه أعماله و رحلة المغامر.

لقد كان لمغامرته التي قام بها للمغرب نتائج هامة حيث أنها مهدت الطريق أمام القوات الفرنسية لإحتلال المغرب ، و بعد أن أنهى مغامرته ، زار عدة مدن في الجنوب الجزائري : الأغواط ، غرداية ، ورقلة ، توقرت ، شط الغرزة ، شط الجريد ، قابس بالجنوب التونسي إلى فرنسا في بداية سنة 1886م[4] .

1-حسن مرموري، المرجع السابق ، ص263

2-نفسه ، ص276

4-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص268

و في سنة1888 م قام بزيارة إلى الأماكن المقدسة ، حيث زار معبد " السيد المسيح " و عدداً من الأماكن الأخرى من أجل شحذ روحه الإيمانية .

2- نشاطه في الصحراء الجزائرية من 1901م:

2-1- مكوثه ببني عباس 1901م :

بعد أن أكمل **دي فوكو** مرحلة التكوين و التحضير القسوسة كان يخطط و يفكر في المكان الذي سيستقر به ، كان يريد أن يخوض حياة هادئة بفلسطين لكن غير رأيه فيما بعد قبيل تعيينه أباً في 09 جوان 1901م[1]، وفي 06 سبتمبر غادر الأب **فوكو** Notre dame des neiges قاصداً إفريقيا ليمر على مرسيليا ثم الجزائر . كانت رغبته الإقتراب من المغرب الذي يعرفه جيداً كما يؤكد : " لقد قمت بجميع الإجرائات لكي أرحل إلى الجنوب الوهراني على الحدود المغربية في إحدى المستعمرات الفرنسية التي لا يوجد بها أي راهب " . ثم يتطرق إلى الهدف المزدوج وراء ذالك : " أولاً الحيلولة دون موت جنودنا بلا قداس في أماكن تقتل فيها الحمى أعداد هائلة .....ثانياً عمل أكثر ما يمكن من الخير حالياً للسكان المسلمين و المهملين و هذا بنشر دعوة المسيح"[2].

و بعد أن تم إحتلال بني عباس يوم 01 مارس 1901م و نقل مركز مكتب الشؤون الأهلية من إيغلي إلى بني عباس ، و قد أشرف على هذا الإحتلال الجنرال رسبورغ قائد الشعبة العسكرية بوهران[3] .

وفي 20 سبتمبر إنسحب إلى كنيسة سطاوالي في إنتظار رخصة الحاكم العام للجزائر لإقامته ببني عباس إلى غاية 14 أكتوبر يتسلم من زميله السابق بالجيش و مسؤول شؤن الأهالي في الحكومة الجزائرية الر ائد **Lacroix** الأوراق الضرورية للإقامة في الجنوب الوهراني . فغادر الجزائر مباشرة نحو وهران وصل واحة عين الصفراء في 15 أكتوبر و إستقبله الجنرال **Cauchemez** و الذي كلف الملازم **Huot** لإيصاله إلى بني عباس ، التي يصلها يوم 28

1-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص273

2-نفسه ، ص274

3-ابراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص494

أكتوبر و يرسل أولى إنطباعاته إلى الكونت **Castries** : " بني عباس قصر يتكون من 130بيتاً ، يسكنه الشليح و الحراطين ، القصر يوجد وسط غابة من 6000 نخلة ، تسقسها فقارة رائعة "[1] .

و في بني عباس إستقر "دي فوكو" (انظر الملحق رقم 5 ص103)و شرع في نشاطه[2] ، إن هذه الواحة قد أعجبت المبشر أيما إعجاب و قد وصفها بالعبارات التالية : " و من هذه الواحة يشرف الناظر على صحراء الحمادة الشاسعة ، و يمتد بصره في سماء صافية لا نهاية لها و تذكرنا بذات الإله الأعظم "[3] .

و بعد هذا مباشرةً يقوم بأول قداس ، و لم يتأخر بعده في الحصول على قطعة أرض بمساعدت الضابط ، ليبني بوسائل المنطقة و موادها المحلية قاعة نسك صغيرة (انظر الملحق رقم 2 ص)، و بدأ مهمته الجديدة على الجدول الزمني الذي حدده في هذه الأسطر : " قسمت حياتي بين الصلاة و العبادة ...و مطالعة اللاهوتيات ، الأعمال اليدوية ، ثم أكبر قسم لاستقبال الزوار و بعض الضباط و الكثير من الجنود ، العرب و الكثير من الفقراء الذين أمنحهم الشعير و التمر في حدود الإمكان " . لم يخفي أيضاً الهدف من العطاءات المجانية و غيرها من الأعمال الخيرية فما هي إلا وسيلة للوصول إلى غاية أسمى[4] ، و هي التبشير و الدعوة للدين المسيحي و فتح الطريق أمام التبشير المستمر بالمنطقة ، و قد كان يشتري العبيد و يحررهم كما و رد في برنامجه لكن مقابل الدخول في المسيحية . منهم الذي إشتراه في 14 سبتمبر 1902م و سماه **Pual** و هو في الخامسة عشر من عمره و رافقه إلى مماته[5] .

لقد تمكن الفرنسيون في مطلع القرن العشرين من إحتلال عين صالح ، و واحات تيديكلت ، و قورارة ، توات ، و إيجلي ، و تيميمون ، و فقيق و شروين ، و تاليمين ، و بني سمير في الجنوب

1- حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص 275.

2-مرموري ، المرجع السابق ، ص275

1-عبد الله حمادي الإدريسي ، الإستبصار في تاريخ بشار و ما جاورها من الأمصار ، دار الإبتكار ، الجزائر ،2013 ، ط1 ، ج3 ،ص93

4-مرموري المرجع السابق ، ص276

5- نفسه ، ص276

الوهراني فيما بين عام 1900-1903م . و عين **لابرين** على رأس القيادة العسكرية التي أستحدثت لجنوب الجزائر الصحراوي عام 1902م فإتخذ عين صالح مركزاً لقيادته . و أقنع الر اهب "شارل دي فوكو" بالإنتقال من بني عباس إلى بلاد الهقار ليساعد في إخضاع التوارق للسيطرة الفرنسية الإستعمارية ... و إشتدت الحملات العسكرية ضدهم بتدعيم و تخطيط من "لابيرين" ، و "دوفوكولد" ،الذي قيل أنه لو كان موجوداً بالصحراء عام 1881م لما قتل فلاتر و رجاله[1]

2-2- طموحاته في المنطقة

كان "شارل دي فوكو" يهتدي بمعالم الإستكشاف التي وضعها سلفه "دو فيري" ، الذي كان على إتصال دائم به ، و كانت تربط بين الرجلين عروة وثيقة من الصداقة . و قد كان "دوفيري" هو الذي وضع التقرير الذي منحت الجمعية الجغرافية على أساسه "شارل دي فوكو" ميدالية ذهبية ، و عندما كان الرجلان يجتمعان كان الحديث يدور بينهما إلا على الطوارق و على تحديد دور كل من هما في إستكشاف هذه المنطقة[2] .

كان "فوكو" بدوره معجباً بـــــــــ:"لابرين" الذي حققت فرقته في تلك الفترة إنتصاراً كبيراً في معركة تيت 7 ماي 1902م ضد أهقار ، و كان وراء صدور المرسوم المؤسس" للسرايا الصحراوية" في 01 أوت 1902م ، ثم تحصل على خضوع كيل أهقار بعد سنتين ، لكن يرى **Dedier** أن العدد الهائل من المراسلات بينهما لا يمكن أن تكون وهماً : التراهة و الصداقة التي تربطهما لا تنفي وجود عقد سياسي بينهما يجعلك تأتي أساعدك إذا ساعدتني " و قليلاً من الوقت فيما بعد يلتقي الرجلان في 06 مارس 1903م ببني عباس ومن حينها جاءت فكرة التوغل نحو الجنوب ببلدان التوارق بعد أن فقد أمل الإستقرار في المغرب[3]

4- يحي بوعزيز ، إهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر و الصحراء ، مجلة الثقافة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، العدد57 ، 1980 ، ص26

2- الإدريسي ، المرجع السابق ، ص92

3-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص277

و بعد هزيمة كيل أهقار و إنفتاح بلدهم أمام الفرنسيين إستغل "شارل دي فوكو" الحدث بسرعة و كتب إلى المسؤول البابوي العام الصحراوي **Mgr-guerin** في 24 جوان 1903م بطلب منه رخصة لزيارة بلدان التوارق و هذا بعد أن درس الموضوع و إيجابياته مع زميله القديم "لابرين" . جاءته الرخصة في 29 أوت بعد أن تحصل على موافقة و تأييد زعيمه الروحي القس **Huvelin** للإقامة في المنطقة و لم يبقى سوى إنتظار الوقت المناسب للرحلة[1] .

و بعد أن تم اللقاء بين "لابرين" و "فوكو" في أدرار التي سينطلق منها الدورية في 08 فيفري 1904م و تتجه جنوباً لتمر على عين صالح ، أقبلي ، تيت ، إن أزيز ، أهننت ، تمساو ، تيمياوين التي وصلتها في 16 أفريل 1904م[2] .

و رغم أهمية هذه الدورية التي يقودها "لابرين" (الحاكم العسكري للواحات) مع عدد كبير من الضباط ، بحيث ضمت الباحث "فيياتي" Villatté المهتم بعلم الفلك ، و المواقع الجغرافية ، و تسجيل الملاحظات المناخية ، و إقامة عدة تجارب حول الجاذبية الأرضية للصحراء . و كذلك غرس الجاسوس و المغامر المستكشف الأب "دي فوكو" De foucauld ، ليواصل مهمته منها لإتمام دراسته لغة التماشك التي ألف فيها قاموس فرنسي –تارقي .

و قد صاحب معه أيضاً الملازم "بيسي" Besset ليهتم بالجانب الجيولوجي للمناطق المستكشفة ، منها دراسة منطقة المودير و إفتسان ، و كذلك الملازم "بريكونيو" Bricogne الذي كان يسجل كل كبيرة و صغيرة تحدث أثناء المسيرة مثل توقيت إنطلاق و توقف القافلة ، و نوعية المسالك و الطرق ، و أماكن مصادر المياه ،و الغطاء النباتي ، و كل المعلومات اللازمة لكتابة التقرير عن الرحلة و أخيراً الملازم "نيجار" Nieger المكلف بالطبوغرافيا[3] .

و في طريق العودة يوم 14 جوان إلتقى المهمة بفرقة تابعة لـــــ:"لابيرين" يقودها الملازم روسل Rossel آتية من تيدكلت فطلب "شارل دي فوكو" فتحصل على مرافقتها لمدة 3

1نفسه ، ص278

2- حسن مرموري ، ص279

3-ابراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص531

أشهر أخرى إلى الهقار بينما إتجه و كتيبته إلى عين صالح وهو يقول لصديقه : أتمنى أن أراك ثانية في الهقار.

و ما يكشف عن المهمة السرية التي أوكلت إلى الأب "دو فوكو" الرسالة التي بعث بها الرئد "لابيرين" La perrine إلى الرقيب رونيو Regnault بتاريخ 19 فيفري 1904م يذكر فيها بعض الأعمال التي كان الأب يقوم بها ، و من بينها أنه قام بالإطلاع على كل الأرشيفات العسكرية بدقة و عمق ، لأن ما يوجد بهذه الأرشيفات تتضمن معلومات هامة حول طبيعة الأرض و السكان الذين سيتعامل معهم ، حيث سيقوم بتهدئتهم حتى لا يثوروا ضد الزحف العسكري الفرنسي ، و المهمة الموكلة إليه هي : المعلومات الكافية عن جغرافية المناطق التي يمر بها ، و عن عادات سكانها و تقاليدهم ، و دراسة الأنساب و القبائل التي يمر بها ، و يكون ذلك مصحوباً بالرسوم و الخرائط . و بهذا يمكن القول أن إهتمام الأب "دو فوكو" بالصحراء الجزائرية يدخل ضمن الإهتمامات العسكرية و الدارسيين من الجغرافيين و الأنثربولوجيين و رحلات المستكشفيين لدراسة المظاهر الطبوغرافية و التضاريسية و المناخية لمعرفة إمكانيات الصحراء الإقتصادية و البشرية لإستغلالها و إستثمارها[1].

بعد فشل "فوكو" في الإستقرار في منطقة الهقار سنة 1904م عاد إلى بني عباس ومارس حياته السابقة ، إقامة الصلاة و القيام بالأعمال اليدوية إلى أن تحققت آماله في النهاية إلى تمنراست بعد أن إستلم مراسلة من صديقه **لابرين** يخبره فيها بأنه أصبح بإمكانه العودة إلى الهقار و الإستقرار بها . ليغادر بني عباس في ماي 1905م مع خادمه **Paul** ليلتقي بالنقيب "دينو" في منطقة توات[2] . ومنها إلى الهقار وفي تاريخ 25جوان 1905م ثم اللقاء بأمنوكال "موسى أق مستان" وتمكن الفرنسيون من ضمان إستقرار "فوكو" و تؤكد مذكراتهم أن الدين في القضية الوحيدة الغير قابلة للنقاش عند سكان الهقار رغم خضوعهم للاستقرار الفرنسي[3].

1-يحي بوعزيز ، إهتمامات الفرنسيين بالتوارق و منطقة الهقار من خلال ما كتبوه ، مجلة الأصالة ، العدد 72 ، أوت 1979 ص62 .

2-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص284

3-نفسه ، ص258

و بهذه الخطوات إستطاعت القوات الإستعمارية الفرنسية في غرس نواة المشروع الهادف إلى الغزو الروحي لمناطق أقصى الجنوب بداية من الهقار وهذا بعد ان ضمنت "للأب دي فوكو" الأمان و الإستقرار بالمنطقة حيث يعتبر يوم 13أوت 1905م كتاريخ لإستقرار "فوكو" بتمنراست التي لم يغادرها سوى ثلاثة مرات منذ ذلك التاريخ [1].وقد وضع نصب عينيه أولاً وقبل كل شيء أرواح التوارق التي يريد إنقاذها من عذاب جهنم ويضمن لها جنة الخلود ولهذه الغاية يدرس هذا الشعب دراسة وافية ويعمل لإزالة ما يساوي نفوس إبنائه من الشك وسوء الظن و أحكامهم المسبقة ضدنا ،وأن نثبت لهم أننا نحبهم و نريد إقامة علاقات أخوة معهم[2].

لقد إختار "فوكو" منطقة الهقار وفضلها على باقي المناطق الأخرى وهذا لبعدها عن مدن الشمال و عزلتها و أمنها .

3- شارل دي فوكو في تمنغست 1905-1916م

3-1- مجيئه إلى المنطقة :

لم يكن مجيء "شارل دي فوكو" إلى منطقة الهقار و الإستقرار بها بالأمر السهل، إذ لم يكن إستقرار "فوكو" بداهة تقبل مباشرة ، فلأنه و حسب معطيات ذلك العصر، فإن إقامة رجل دين فرنسي ومسيحي في قلب الصحراء سيطرح مشاكل كثيرة .أن تلك الإقامة مرتبطة أساساً بالعلاقة القوة بين السلطات الإستعمارية العسكرية الفرنسية و وكيل أهقار وعلى رأسهم "موسى أق أمستان"[3].

إذا كانت رغبة "فوكو" تتمثل في الإستقرار منذ أن جاء في إستطلاعات "لابيرين" و "روسل" Rissel فإنها تتطابق بشكل مع رؤية "لابيرين"[4] ، الذي كان يشجع صديقه على المكوث في منطقة الهقار ومزاولة نشاطه هناك إلا أن هذا لم يحدث رغم رغبته ورغم موافقة "لابرين" المبدئية ، إلا أنه لا يمكن للراهب أن يستقر هذه المرة في الهقار.

1-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص293

2-الإدريسي ، المرجع السابق ، ص94

3-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص280

4-نفسه ، ص281

خاصة أن دورية لابرين لم تلتق بموسى أق أمستان ،هو ما جعل "لابرين" يمنع إستقرار "فوكو" بالهقار، و الحقيقة أنه منع صاحبه من الإقامة في أماكن معينة وكذا خشية "لابرين" من بعض الفرنسيين هناك أكثر من خشيته للتوارق جعلته لا يسمح له حاليا بالبقاء في تيت و لا غيرها بالهقار

و مهما يكن فإن الإنطباع السائد سنة 1904م . هو أن كيل أهقار بمن فيهم أتباع "موسى أق أمستان " معارضين لإستقرار الأب "فوكو" في منطقتهم . و هذا ما إعترف به المعنى في رسالة مؤرخة ب 26-10-1905م : " حاولت عدة مرات أن أستقر بأهقار السنة الفارطة دون جدوى ، نظراً للروح الحذرة للأهالي الذين يرون في شخصي جاسوساً للحكومة ..."[1] .

إن إستقرار الأب "شارل دي فوكو" ، مسيحي فرنسي ، أُدخل من طرف مستعمرة عسكرية ، لا يمكن أن يكون حدثاً تافهاً في تلك الفترة ، و بالتالي لم يكن هذا الإستقرار سهلاً ...

و في هذا الإطار فمن خلال الأهداف العسكرية و الإستعمارية المعلنة و المشار إليها سابقاً ، فإن مشروع إستقرار الأب "شارل دي فوكو" بأهقار لا يمكن أن يظهر سوى كهدف ثانوي رغم كونه مشروعاً حقيقياً مسانداً من طرف "لابرين" و ضابطه أمثال "دينو"، هذا الأخير الذي فرض على " أق أمستان" قبول الراهب[2] ، في المنطقة .

و بعد كل المجهودات التي بذلها "لابيرين" من أجل تأمين إقامة رفيقه هناك و أخير تحقق ما كان يصبوا إليه في يوم 13 أوت 1905م لأستقرار "فوكو" بتمنراست نهائياً ، حيث بدا له كذلك أن للطوارق إستعداد لقبول دعوته ، فهم أقل تعلقاً بالإسلام في إعتقده ... فهم لا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة[3] ، و منه يسهل إقناعهم بإعتناق المسيحية .

لكن سكان الهقار يختلفون عن السكان في منطقة بني عباس ، حيث يستوطن الطوارق منطقة الهقار و يعود أصلهم إلى * ؛ وقد أطلق عليهم العرب إسم الطوارق لكن الإسم الحقيقي ، و الذي

1-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص284

2-حسن مرموري، المرجع السابق ، ص287

2- أبو عمران الشيخ ، شارل دي فوكو في تمنراست(1905-1916م) ، كتاب الأصالة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، رغاية ، الجزائر ،1995 ، ج1 ، ص246

يرمز لهم و ينسبون به أنفسهم ، فهو إيموهار Imohar أو إيموشار Imochar و الجمع يكون إيماجيرن Imajeurn و مفردة إيموهار مشتقة من أحد الأفعال في لغتهم و الذي يدل على : "كن حراً " و إيموهار مشتق من أماهر Amaher و هي مفرد تاماهارت Tamahart أو تاماهاك Tamahaq ،بيد أن التماهاك أو التماشق Tamachaq هي اللغة التي يتكلم بها الطوارق ، و هذين المصطلحين إيموشار Imocherو الإيماجيرن Imajeurn يستعملها الطوارق فيما بينهم منذ أمد بعيد و لا يتعارفون إلا به ، في حين تارقي أو توارقي فقد أطلقه عليهم العرب ، و حتى هم لا يعرفون معناه الحقيقي ... فالمعروف لدينا اليوم أن منطقة الهقار و التاسيلي ناجر و غرب الفزان هي التي مازالت تضم أكبر نسبة من الطوارق ، بقوا محافظين على تقاليدهم كإحتفاظهم باللثام و لغة التاماشق[1].

3-2- علاقة شارل بالطوارق:

بعد الرحلة التي قام بها فوكو إلى الهقار و قد تعلق فوكو بالمنطقة حيث سعى جاهداً للإستقرار و ما شجعه على إتخاذ قرار المجيء هو طبيعة السكان و كذا طبيعة المنطقة هناك ولنتفهم إذا كان "فوكو" على صواب فيما ذهب إليه يجدر بنا الآن أن ندرس صلته بالطوارق . فنلاحظ أولاً أنه يعتبرهم "همجا" طيبين و مرحين ، فيشبههم بالأطفال و يصفهم بصفات المزارعين و هي المثابرة و الإقتصاد و الإحتراز و التحفظ ... في نظره غير متمسكين بالدين تمسكاً كبيراً ، إذ يقول : " إن طوارق الهقار ليسوا مسلمين إلاّبالإعتقاد و الإسم " و لذا يبدو له من اليسير ترويضهم و تمهينهم[2]، لذا أنه من الضروري الإتصال و توطيد أُصول الصداقة مع سكان الهقار.

لقد ربطت "فوكو" علاقات صداقة بالطوارق و خاصة علاقة الصداقة التي ربطت "فوكو" بالأمنوكال "موسى أق أمستان" (انظر الملحق رقم 3 ص)؛ و قبل هذا يجب أن نعرج إلى معنى كلمة أمنوكال : و أمنوكال هي كلمة نتاج كلمتين : "مسيس" التي تعني "سيد" و "أكال " يعني " البلد " أو " الأرض" و تركيبهما يكون "مسيس – ن – أكال " بمعنى "سيد البلد" أو "سيد الأرض" ، و أدت الضرورة اللغوية إلى تطور الكلمة و تحولها إلى "أمنوكال" لتصبح مفردة مستقلة

1- إبراهيم بتقه ، "لمحات من تاريخ قبائل الطوارق" ، مجلة الدراسات الإفريقية ،تصدر عن مخبر دراسات إفريقية جامعة الجزائر 2 ، العدد 1 ، 2014 ،ص26

2-أبوعمران الشيخ ، المرجع السابق ، ص250

. و هناك من يرى أيضاً أن هذه الكلمة ناتجة عن تركيب كلمتي : " أمغار" الذي يعني " رئيس " أو "زعيم " و التي تطلق في الأصل على رئيس القبيلة بكلمة " أكال " ، و الإقتران يؤدي إلى " أمغار – ن – أكال " أو " رئيس البلد "[1].

أما موسى أق أمستان : ولد في 1867م و هو ينتمي إلى قبيلة "كيل غلا" في الهقار و قد أمنوكال الهقار سنة 1904م و دام حكمه حتى 1921م ، وقد تزامنت فترت حمكه مع التواجد الفرنسي في المنطقة .

ولقد ربطت "فوكو" علاقة طيبة مع الأمنوكال "موسى" ، يعتبره "فوكو" في أول الأمر رجلاً ذكياً و متفتحاً و مسلماً تقياً ،رغم بعض العيوب فتقبل "موسى" إرشاداته و أبدى ثقته به ، إلا أن "فوكو" غيّر رأيه بعض الشيء فيما بعد و السبب الواضح في ذلك أن "موسى" كان يريد نشر الدعوة الإسلامية بالهقار ... فقرر بناء زاوية و مسجد بتمنراست . و هذا الأمر لم يحبذه "فوكو" ، فرأى فيه خطوة كبيرة وخشي أن يعادي السكان السلطة الحاكمة ، و لا سيما أن الطوارق يعدون الفرنسيين من الكفار و الهمج .

إن "موسى" فيما يبدو و قد تمسك برأيه و لم يصغي لنصائح "فوكو" كلها ، إلا أنه فضل أن يتجنب المجادبة و المواجهة و هذا يعود إلى نظافة مجازه ، و لا غرابة في ذلك ، لأنه معتد بنفسه و بسلطته و كرامته ، فهو رئيس الطوارق ، مشهور بمواقفه الحاسمة و شجاعته ... و خيبة آمال "فوكو" فيه هي التي تفسر إقتراحه السري على السلطة الفرنسية بألاّ يخلف أحد الأمينوكال "موسى" بعد وفاته ، و أن يتولى الضابط الفرنسيون إدارة الهقار مباشرة . لكن السلطة الحاكمة لم تقبل هذا الإقتراح و حافظت على وظيفة الأمينوكال ، و لم يتأثر "موسى" بتصرفات "فوكو" هذه و حافظ على صداقته له ، كما تدل على ذلك الرسالة المثيرة التي بعث بها إلى أخته إثر إغتياله[2] . و لطالما رغب الأخ "شارل" بأتباع له ، و لقد صبّ آماله على شاب كان ينوي لأن يأتي إلى تمنراست في غضون عام 1907م ليعيش معه و فرح كثيراً بذلك . لكن هذا الشاب لم يلبث أن مرض و هو في طريقه إلى الهقار فإضطّر للعودة إلى ذويه . حينئذ شعر الأخ "شارل" و كأن حياته

1-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص170

2-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص251

موسومة بالفشل[1] . لكن عاد إليه الأمل في شخص صديقه الثاني الذي تعلق به "فوكو" كثيراً فهو الشاب " أوكسيم " انظر الملحق ؤقم 7 ص) ، و كان أمل "فوكو" أن يكسب هذا الشاب ، فنظّم له سفراً إلى فرنسا و عرّفه على أسرته المسيحية ، راجياً أن يتأثر بذلك و يتحول إلى إنسان "متمدن "[2] ، و قد إنتهت هذه الرحلة سنة 1913م و كان أوكسيم في الواحدة و العشرين من عمره . فذكر فوكو أن هذه الزيارة دعمت ثقة أوكسيم به و بجميع الفرنسيين . و حنما يتضح الغرض من الرحلة . و قد تعلم أوكسيم النسيج و علّمه إلى غيره بعد عودته ، و قد أكد على أهمية هذا العمل . إلا أننا أشرنا فيما سبق أن أوكسيم لم يتحول في سلوكه و بقي متمسكاً بأسرته و مجتمعه فتفهم فوكو هذا الموقف . و جعل أوكسيم وصية و إعتبره إبنه الروحي . لم يتمدن أوكسيم طبعاً . و عندما إندلعت ثورة بالهقار في سنة 1917م إلتحق بالثوار و ذلك مدة شهرين بعد وفاة فوكو ، و كيف ينتظر من شاب طرقي أن يكون فرنسياً مخلصاً ؟ هذا أمر مستحيل ... و ليس تمرد أوكسيم بموقف فردي و إنما هو موقف يفسره خلاف جوهري بين حضارتين و ثقافتين[3] .

لم تتغير نظرت فوكو تجاه التوارق و الذين كان ينظر إليهم على حسب قوله ، لست أدري إلى أي مدى يقدر ذكاء السكان حتى يتصور أنهم سيتصرفون على هذا السناريو الهزلي ، لكن الشيء المؤكد أنه يعتبرهم كغيره من المستعمرين الذين يتعرفون إليهم بسلسلة من الألقاب ؛ أنديجان ، همج ، متخلفون ، متوحشون ، بدائيون ... و أبعد من ذلك سيصنفهم في مرتبة أدنى : القطيع . كما جاء في رسالة إلى قريبته : " صلي كثيراً لهذا القطيع Troupeau في الصحراء و المغرب و الذي يريد المسيح أن أعتني به في إنتظار رعاة أحسن "[4]. إلا أن نظرت التوارق له كانت مختلفةً حيث أنهم قدروا هذا الرجل الذي إعتبره المسلمون في الصحراء ولياً بأتم المعنى . إلا أننا نلاحظ أن هذا التقدير كان المقصود منه الرجل المؤمن ، لا المبشر ، ذلك لأن الطوارق مثل بقية المسلمين الصحراويين كانوا يحترمون أوليائهم لتقواهم و علمهم . و الراهب شارل دي فوكو كان في

1-شارل دي فوكو ، المرجع السابق ، ص59

2- للاطلاع على وجهة النظر الفرنسية التي اعتبرت زيارة هذا الشاب غير المتحضر إلى عالم المدنية و الحضارة أنظر :
René BAZIN , **Charles De Foucauld explorateur du Maroc Ermite au sahara** ,Plon , Paris ,1921.

3-أبو عمران الشيخ ، المرجع السابق ، ص251-252

4-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص298

نظرهم ولياً فرنسياً ، و أنه أجنبي و لذا عاملوه معاملة " ضيف الله " و قدروا في حياته التقشف و هم في الغالب فقراء كما قدروا فيه طيبته و إهتمامه بهم إذ تعلم لغتهم ليفهمهم و لهذا إحترموه بطبيعة الحال ، و عندما أصيب بمرض ساعدوه بجميع الوسائل و قد تقبلوا منه أحياناً بعض النصائح العملية تتعلقوا بالنظافة أو الزراعة أو البناء و ما إلى ذلك ... لأنه كان صاحب ثقافة و خبرة و كرم ، و لكنهم إستغربوا من بعض الظواهر في حياته و مواقفه . فظهر لهم أولاً شديد التصوف و التقشف . هذا ما عبّر عنه الأمينوكال موسى عندما زار أسرة فوكو بفرنسا و كانت تعيش في الرفاهية ، فقال له في رسالة : " قد رأيت أختك ... و رأيت صهرك ... و أنت تعيش هنا بمتنراست كالمسكين "[1].

لقد كان فوكولد أو " أكلي –ن – عيسى "[2] كما يسميه هؤلاء يعمل جاداً لإرساء صورة الراهب المسالم الرائع المحب للوحدة ، المتصدق المحسن في ذهن السكان ، فإن لهؤلاء نظرة أخرى . رغم أنه إستطاع أن يكون صداقات عديدة و تقرب إلى أهم العائلات كما كان يصبو ألا أنه لم يستطع أن يحقق هدفه الأساسي : التنصير و أن أفادته تلك العلاقات بجمع المعلومات الإستراتيجية في كل الميادين من الجغرافية إلى السياسة و التي إستفاد منها العسكريون الذين إستقروا بفضله في قلب أهقار[3] .

و لكن إعتقاد كيل أهقار أنفسهم أنهم الأمة الأكثر تحضراً في العالم ، الأكثر طيبة و عدلاً و الأكثر قوة في نفس الوقت . يعتبرونهم (المسيحيين) كمتوحشين ، و ثنيين و لم يسموهم سوى "إكوفار"[4] ... و على كل حال ، إذا كانت لعنة التاريخ قد أثبتت للتوارق أنهم ليسوا أقوياء ، فإنهم بقوا يسمون الأوربيين دائماً ب "إكوفار" مثلما بقي هؤلاء يسمونهم بدائيين متخلفين أندجان ... [5] .

1-الشيخ أبو عمران الشيخ ، المرجع السابق ، ص254

2- أكلي –ن-عيسى أو أبد غيسى بمعنى عبد عيسى أو خادم المسيح

3-حسن مرومري ، المرجع السابق ، ص301

4- إكوفار : جمع كلمة اكافر أو الكافر كان يطلقها التوارق على الفرنسيين بصفة خاصة ثم توسع مفهومها ليشمل كل الأوروبيين وما يزال يستعمل هذا المفهوم إلى اليوم

5-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص302

3-3- نشاطه في تمنغست:

لقد إرتبط إسم "شارل دي فوكو" بمدينة تمنراست ، ... أين قرر "شارل دي فوكو" الإقامة بتمنراست سنة 1905م و كان في ال 47 من عمره . و لم ينقطع عنها تقريباً إلى آخر حياته ، و قد ذكر في رسالة له مؤرخة ب 7سبتمبر 1915م : " غداً ... تمر عشر سنوات على بناء مقري بمنراست ،... و يعود إختياه إلى عدة أسباب منها أن المكان يوجد في منطقة جبلية بصلب الهقار و فيها تعيش أهم قبيلة من قبائل الطوارق و هي قبيلة "داق أغالي" . و كانت تمنراست بعيدة عن جميع القرى الهامة . و لم يتجاوز عدد سكان تمنراست في ذلك العهد عشرين أسرة أي مائة نسمة تقريباً[1] .

فمنذ بداية إقامة الأخ شارل في تمنراست ، أخذ يتعمق بلغة الطوارق ، حتى أنه تعهد بتأليف معجم لغوي ليكون بخدمتهم . و قد قام بترجمة الإنجيل و كذلك بعض مقاطع من الأسفار الحكمية لعلها تلقى تجاوباً لا بل صدى في قلوبهم .

" إن وقتي موزع بين الصلاة و العلاقات مع السكان المحليين و دراسة لغة الطوارق التي أعطيها وقتاً مطّولاً ، أولاً لكي أنتهي منها فأتفرغ لكل ما تبقى ، ثانياً لأني بحاجة إليها إذ أني لا أستطيع أن أحسن إلى الطوارق إلا بالتحدث معهم و بإتقان لغتهم .

و بالفعل فإن الأخ شارل لم يدرس لغة الطوارق فحسب ، لكنه أبدى أهمية بالغة لكل ما يشكل ثقافة هذا الشعب ، و عليه أخذ ينسخ خلال السنوات عديدة القصائد التي تغنى في المساء حول النار و التي تحمل في طيّاتها تاريخ هذا الشعب و روحه العميقة[2] .

و تسهيلاً لعمله في منطقة الطوارق قرر فوكو أن يتعلم لغتهم ثم شرع في تأليف كتاب في النحو و معجم طرقي –فرنسي ، و فرنسي – طرقي و إستعان بخبرة صديقه "موتيلنسكي" الذي عاش معه بتمنراست عدة أشهر ، و جمع العديد من القصائد الشعبية المحفوظة ترجمتها إلى اللغة الفرنسية

1-الشيخ أبو عمران ، المرجع السابق ، ص245-246

2-شارل دي فوكو ، رجل يبحث عن الله ، ترجمة داود داود ، مطابع معوشي و زكريا ، ص57

كما أنه ترجم الإنجيل و بعض النصوص المسيحية ، و غرضه من هذا كله تسهيل مهمة المبشيرين و الإتصال المباشر بالأهالي[1] .

إختار الأخ شارل أ يبقى في الهقار لأنه لم يكن هناك أي تواجد مسيحي في تلك المنطقة[2] . و قد لخص فوكو مهمته في أمرين أساسيين :

أولاً: العمل على نشر النفوذ الفرنسي في الهقار .

ثانياً : إدماج السكان في الحضارة الفرنسية و تنصيرهم ، و رأى أن يكون العملان متكاملان و لا يمكن فصل الواحد عن الآخر ، و أشار إلى هذا في نص صريح : " الأمر الأول هو إقامة النظام الفرنسي و الحضارة في إمبراطوريتنا بالشمال الغربي الإفريقي ... و الأمر الثاني هو التبشير " . لم تميز أوروبا في ذلك العصر بين الإستعمار و التنصير[3] .

و كما هو واضح فإن عمله مزدوج يكمل بعضه البعض : لقد إختار في المقام الأول تعلم و دراسة اللغة التارقية التي هي الوسيلة الوحيدة للإتصال مع المجتمع و تحسين العلاقات معه و بالتالي فهي الإدارة التي يمكن أن يمرر من خلالها أفكاره و رسالته ؛ تحويل السكان إلى مسيحيين و التي ستكون أيضاً الأرضية للمبشرين الذين سيأتون بعده ... و الواقع أن أول عمل قام به هو ترجمة الإنجيل إلى التارقية قبل حتى أن يستقر فقد كتب إلى قريبته في 6 سبتمبر 1904م : " لقد أنهيت ترجمة الإنجيل إلى اللغة التارقية : التوارق لهم لغة و كتابة خاصة بهم ، لكن ليس لديهم كتب ، لا يوجد أي كتاب في هذه اللغة ، إنه لشرف عظيم لي أن يكون كتابهم الأول هو الإنجيل المقدس[4] .

لقد سعى دي فوكو جاهداً إلى كسب السكان و إقناعهم بإعتناق المسيحية و هذا بالرغم من أنه لم يستطع أن يدعوا إلى المسيحية مباشرة وقد إكتفى بالتركيز على الديانة الطبيعية ، و من حين لآخر يتخلى فوكو عن حذره المعتاد فيحاول التبشير صراحة ، حيث كان يقضي عدة أيام مع الطوارق يشرح لهم كُتباً فيها بعض السور الدينية أو يتلوا عليهم نصوصاً من الإنجيل المقدس .

1-الشيخ أبو عمران ، المرجع السابق ، ص246

2-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص296

3-الشيخ أبو عمران ، المرجع السابق ، ص246-247

4-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص297

فرأى "فوكو" أنه من الضروري أن يحسن الوضع الإقتصادي و الإجتماعي في تمنراست ، فإقترح أن يساعد القرية بستاني خبير و حفر للآبار و طبيب ، كما أنه إقترح أن تتعلم النساء النسيج و أن تفتح بعض المتاجر . فإتصل برئيس الطوارق و هو الأمانوكال "موسى أق آمستان" و شرح له أنه لابد من توفير ثلاثة أشياء لرفع مستوى السكان و هي أولاً تربيتهم الخلقية ، و ثانياً نشر التعليم التعلم الفرنسي إلى حد معين ، و ثالثاً إثبات الرحل في القرى مع الحفاظ على تربية المواشي . و كان هذا الإقتراح الأخير يتردد كثيراً في ذلك العهد . و يستهدف هذا المشروع تحويل السكان من وضعية الر حل المتجولين إلى شبه مدنيين مستقرين ، فتبنى القرى في مناطق مناسبة و يعتني الأهالي بالزراعة و الصناعة اليدوية[1] .

لقد سعى من خلال هذا إلى تمدين و تحضير هؤلاء السكان و من أجل هذا بذل مجهوداً كبيراً في سبيل تحقيق هذا تمهيداً لمشروعه الأساسي و هو التنصير وسط الطوارق .

إن التبشير هو الأساس في إعتقاد فوكو ، و التعبير وسيلة لتحقيقة ؛ إنه لا يكتفي بتنصير المسلمين و اليهود و المسحيين المنحرفين فحسب بل يريد تنصير القارة الإفريقية كلها ، و هدفه هو هدف "لافيجري" ، لكنه يحترز كثيراً في طريقة التبشير لأنه يدرك صعوبة الأمر في البلاد الإسلامية ، و قد منعت الحكومة الدعاية المعادية للإسلام . و لذا يفضل فوكو طريقة تدريجية بطيئة و غير مباشرة . و يبدو له أنها أنسب "للهمج " الذين يريد ترويضهم ، فيقول في هذا المعنى : " فلنعمل على أن تكون حياتنا قدوة لهم ... و سوف ننصرهم لا محالة ". و بالإضافة إلى هذا السلوك الأمثل يجب الإتصال بالسكان و التحدث إليهم ... و بما أنه لم يستطع أن يدعو إلى المسيحية مباشرة إكتفى بالتركيز على الديانة الطبيعية[2].

و يوازي عمله الفكري هذا أفعال و مبادرات رمزية ، الصداقة ، العلاج المجاني ... و هذا – كما يقول – لجلب ثقتهم و إستدراجهم : " يجب الفوز بثقتهم و جعلهم أصدقاء ، و مساعدتهم ، إعطاء النصائح الجيدة ، الإرتباط بهم ، وحثهم سرياً لإتباع الدين الطبيعي ، و البرهنة لهم على أن المسحيين يحبونهم ..."

1-الشيخ أبو عمران ، المرجع السابق ، ص247

2-نفسه ، ص248

و أكثر من ذلك حاول أن يتبع سلوكاً مصطنعاً صارماً كي يجعل السكان يُعجبون بشخصيته و يعتبرونه نموذجاً يقتدى به و بدينه بالضرورة ، كتب في سجله : " إن دعوتي يجب أن تكون طيبة ، حين رؤيتي سيقال : إذا كان هذا الرجل رائعاً ، فإن دينه أروع ، إذا طلب مني لماذا أنا طيب فعلي أن أقول : لأنني خادم لطيب أحسن مني ، لو عرفتم كم هو رائع سيدي المسيح... أريد أن أكون رائعاً جداً لكي يقال : إذا كان هذا هو الخادم فكيف سيكون السيد "[1].

و من حين إلى آخر يتخلى فوكو عن حذره المعتاد فيحاول التبشير صراحة : "إني أقضي أحياناً أياماً كاملة مع الطوارق أشرح لهم كتباً فيها بعض السور الدينية أو أتلو عليهم نصوصاً من الإنجيل المقدس " إنه يشير هنا إلى بعض الفقراء الذين كانوا يترددون عليه ليتصدق عليهم[2] .

و بعد مرور عدة سنوات من تواجه في المنطقة وسط السكان ، و رغم كل الجهود التي بذلها إلا أنه إكتشف ، أنه لم يتقدم كثيراً في التبشير و لم يتقبل السكان دعوته إلى المسيحية و فسر هذا بأنه من الصعب أن يتخلى المرء عمّا يعتقده و تعود عليه ، و شاهد تمسك الناس به حوله ؛ إذن ما هو العمل ؟ تفهم فوكو الأمر و حاول أن ينال ثقة الناس لا غير ، معترفاً بأن هذا شيء قليل و لكنه لم يستطع أكثر من ذلك و إلا فقد ضاعت كل جهوده في المستقبل . هنا يمكن أن نتساءل : لماذا واصل فوكو دعوته بعد كل هذا ؟ لأنه كان يعتقد أن الوسيلة الوحيدة تُحوّل الأهالي إلى مواطنين فرنسيين هي أن يصيروا مسحيين . و لا يمكنه أن يفصل كما رأينا بين الهدفين و إن كانت السياسة الرسمية قد ميزت بينهما ، و إنما الإدارة العسكرية المحلية ساعدته بجميع الإمكانيات لتسهيل رسالته ، و تصوره الغريب لهذه الرسالة يعود بالدرجة الأولى إلى تخوّفه من الإسلام[3].

1-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص298

2-الشيخ أبو عمران ، المرجع السابق ، ص248

3-نفسه ، ص248-249

إلا أن فوكو لم يفقد الأمل رغم أنه أصبح شبه متأكد من أن سكان الهقار لن يتخلوا عن دينهم الإسلام مقابل إعتناقهم المسيحية ، حيث كانت لفوكو فلسفة إرتكز عليها في مشروعه التبشيري الإستطاني و قد لخصها في بنود و هي :

1- محاربة اللغة العربية و محاولة طمسها في الهقار لأنها هي الوسيلة لفهم تعاليم الدين الإسلامي ، مع إحلال الفرنسية محلها .

2- محاربة بناء المساجد و الزوايا .

3- اللجوء إلى شراء العبيد و إعطائهم حرياتهم لكي يكونوا أعواناً له ، على إعتقاد منه أن العبد يظل مديناً لأي شخص يعتقه .

4- تقديم الهدايا للمواطنين لإستمالتهم و كسب تعاطفهم .

5- مساعدة الفقراء و المعوزين بالعلاج المجاني و الصدقات مقابل إستدراجهم للبوح العفوي بالمعلومات .

6- جلب إهتمام كبار العسكريين الفرنسيين و إغرائهم بخيرات الصحراء الغنية بمياهها و زراعتها و حيواناتها و معادنها حتى يميلوا إليها و يساعدوه على نشر مبادئه .

7- الإتصال فوراً لرؤساء القبائل و العشائر و العمل على توطيد أواصر الصداقة معهم حتى يضمن خروج الزعيم من الإسلام و بالتالي سوف تسعى وراءه قبيلته[1] .

و من ناحية أخرى كانت لفوكو صلة وثيقة بالحكم العسكري الفرنسي ، لأنه كان ضابطاً في السابق و قد شارك في محاربة ثورة بوعمامة سنة 1881م مع صديقه لابيرين و عدة ضباط آخرين ، و قد تولى لابيرين فيما بعد السلطة العسكرية في الصحراء . يروي لنا الطبيب "هيريسون " في سنة 1910م أن الحاكم لابيرين أمره بأن يتصل بشارل دي فوكو و يسترشد به في معاملته للطوارق و شاهد هذا الطبيب أيضاً الإحترام الكبير الذي كان يوليه لابيرين لشارل دي فوكو إذ كان زميله في مدرسة سانسير العسكرية . و مما يؤيد صلة فوكو بلابيرين الرسائل العسكرية التي كان يبعث بها بإنتظام و هي تعرض في معظمها إلى وضعية القبائل المتمردة أو الحليفة .

1-عبد السلام بوشارب ، المرجع السابق ، ص120-122

ففي عام 1910م باشر الأخ شارل ببناء منسكة أخرى له في جبال الهقار العالية على هضبة الأسكرم التي تبعد ستين كيلومتر من تمنراست (انظر الملحق رقم 7 ص105). أقام فيها عدة أشهر ، و قد شُغف بجمال طبيعتها إذ كانت رؤيتها توحي له بالله الخالق و تحمله على التقرب منه أكثر فأكثر[1] . و قد حرص فوكو على بناء و تحصين مقره الجديد و هذا تحسباً لتطورات للأوضاع في المنطقة ، كما جاء ذلك في إحدى رسائله : " إني حولت مقري إلى حصن و تزودت بستة صناديق من البارود و ثلاثين بندقية ...

و هكذا إتضح للسكان أن الولي المسيحي كان مستشاراً و مساعداً للسلطة الإستعمارية ، و لا غرابة في ذلك ، إذ أنه من أنصار الإمبراطورية الفرنسية و قد عمل على توسيعها و تدعيمها ، و قد أشرنا سابقاً على موقفه من الإسلام الذي كان يرى فيه الحاجز الأساسي في طريق الأستعمار الأجنبي . و لذا قرر محاربته و التقليل من نفوذه في الهقار ، و أيدت الولاية العامة هذا الرأي و لم تسمح بزيارة الصحراء لأحد إلا برخصة خاصة منها ، و إرتاح فوكو لهذا ...[2] .

إلا أنه و خلال الفترة الممتدة من 1910م و حتى 1916م عرفت المنطقة حركة تمرد جعلت فوكو يتخوف من هذه الأوضاع ، حيث إعتقد أن الحصنه هو منقذه الوحيد و هذا بسبب بعد المراكز العسكرية عن المنطقة ، و يعتبرالتمرد الذي قاده أتباع " إتسي أق أملال" أمنوكال المخلوع ، و جزء من قبيلة تايتوق بالإضافة إلى أفراد آخرين لهم مواقف فردية و إلتحقوا بحركات التمرد في مختلف الجهات . و هناك أيضاً حالات فرار عديدة من فرق الميهاريست الفرنسية ، و هذا ما جعل الراهب يتحدث بلغة عسكرية رهيبة و صارمة في مراسلته إلى النقيب DUCLOS رئيس ملحق تيديكلت مؤرخة في 01 سبتمبر 1916م قائلاً : " أتفق معك تماماً في كل النقاط : على الضرورة القصوى للقمع الصارم للجرائم المرتكبة في حالات الفرار ، التمردات ، الإنتقال إلى صفوف العدو ، على ضرورة نفي غير المرغوب فيهم ، جواسيس و مرضي الإضطرابات ، على ضرورة منع كل العلاقات أو الإتصالات بين سكاننا الخاضعين و العدو غير الخاضع و المتمرد...."[3] .

1-شارل دي فوكو ، المرجع السابق ، ص62

2-الشيخ أبو عمران ، المرجع السابق ، ص255

3-حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص315

لم يطل الوقت و ما هي إلا شهور حتى وصلت القوات المتمردة إلى الحصن الذي يتحصن في فوكو ، حيث توجهت فرقة من الثوار بقيادة " آبا أق غبلي" ؛ و كانت مهمتها تكمن في الحصول على السلاح و الذخيرة و المؤونة التي كانت مخبئة في الحصن الذي يوجد به الراهب . و نظراً لمناعة الحصن إستعانوا " بالمدني أق سوبا " الذي يعرف الأب جيداً و معتاد على تسليم البريد .

في يوم الجمعة 01 ديسمبر على الساعة الخامسة مساء حاصرت المجموعة البرج في سرية تامة و إقترب المدني من الباب ليعلن وصول البريد ، فتح الراهب الباب فألقي القبض عليه ، و أوكلت حراسته ألى شاب إسمه " سرمي أق توارا " ، بينما إنشغل البقية في أخذ السلاح ، الذخيرة ، المؤونة ... في الوقت الذي ظهر إثنان من المهاريست الشعامبة : بوعيشة و بوجمعة بن إبراهيم من برج موتلنسكي فقام الأب بحركة غريبة للفت إنتباه المهاريست ، فإعتقد الشاب الحارس أنه يريد الهرب فأطلق عليه النار[1]. فأرداه قتيلاً ، و بذالك تنتهي جهود أخطر مستكشف و منصر في الصحراء و لكونه عقلية علمية متخصصة في عدة مجالات ، فهو ضابط في الجيش الفرنسي ، شارك في العديد من المعارك بالإضافة إلى أنه رحالة تجول في ربوع المغرب الأقصى و زار فلسطين ، و عاش كثيراً في الجنوب الجزائري ، و هذا لمعرفته البالغة باللهجة المحلية و اللغة العربية و كل هذا جعله محط إحترام وسط الضباط الفرنسيين يحرصون على خدمته و راحته ، كما أنه بلغ من العمر 47 سنة عند قدومه إلى الهقار إلا أنه أصر على مواصلة مشروعه التنصيري في الصحراء .

كان لا بد أن تكون نهاية شارل دي فوكو وخيمة في الهقار ، فبعد إقامة طويلة بين سكان تمنراست أخذت نشاطات هذا الراهب تتطور و أصبحت مشبوهة و مثيرة للشكوك في أكثر من مناسبة و على أكثر من صعيد و من الأسباب التي أدت إلى مقتله و التي يتفق عليها جميع المواطنين هي :

-الإعدامات التي نفذها القائد العسكري ببرج تاغاوهاوت (قرب تمنراست) في حق بعض المواطنين التوارق ، فقد إتضح أن كثيراً من هؤلاء الضحايا كانوا ممن أوفدهم إليه الراهب فوكو محملين برسائل كانوا يعتقدون أنها ستنفعهم لدى هذا القائد في الحصول على بعض المعونات الغذائية ، في حين أن شارل دي فوكو كان يدفعهم إلى الموت بعد أن يئس منهم و أثاروا مخاوفه

1-حسن مرموري، المرجع السابق ، ص317

كعناصر وطنية لا يؤتمن جانبها و لذلك إستغل أميتهم و زودهم برسائل حملوا فيها الموت بأيديهم.

-تعامله و نشاطاته المشبوهة مع الجنود الفرنسيين .

-إخلافه للوعد الذي قطعه على نفسه و القاضي بعدم إدخال الأسلحة أو الذخيرة إلى البرج الذي كان يقيم به[1].

إن المتتبع لمسيرة فوكو في الهقار ينتهي إلى أن ، تجربته السياسية و الدينية و أن عمله التبشيري الذي أيدته السلطة الحاكمة كان مصيره الفشل . و قد إعترف بذلك هو نفسه حيث قال : " غداً ، تمر عشر سنوات منذ بدأت أقوم بالقداس بتمنراست و لم أتوصل إلى تنصير شخص واحد " ، و قد أكد هذا القول العالم غوتييه : "وفي فترة خمسة عشرة سنة في الصحراء ، لم يتوصل إلى تنصير واحد " . و قد إعتبر الأهالي رسالته شيئاً غريباً عنهم . و لا يمكن الحوار بين الحضارات المختلفة إلا إذا تحرر الناس و توفرت السيادة للدول و إلا تحوّل الحوار إلى " أبوية " ، أي إلى علاقة السيد بعبده ، و يشترط نفس الشيء في الحوار بين الأديان . أما في العصر دي فوكو فلم تتوفر هذه الشروط . إن الكنيسة كانت تعتبر نفسها مكلّفة بالتبشير ، فإرتبطت إرتباطاً وثيقاً بالوضع الإستعماري الذي لم تكن فيه العلاقات الإنسانية و السياسية طبيعية[2].

و بعد وفاة شارل دي فوكو واصلت جماعة الإخوة الزرق[3] نشاطها بتمنراست حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومع بداية عام 1950م عاد الإخوة الزرق ليستقروا بالأسكرم في إقامة مجاورة لخلوة فوكو التي أصبحت مع الزمن مكاناً يقصده الحجاج و السياح من كل أنحاء المعمورة[4].

كانت مسيرة فوكو حافلة منذ بداية حياته و حتى إلى آخرها ؛ من خدمته في الجيش الفرنسي بالجزائر إلى وصوله إلى الصحراء الجزائرية كرجل دين .فعند وصوله إلى منطقة بني عباس في فيفري

1-عبد السلام بوشارب ، المرجع السابق ، ص124

2-الشيخ أبو عمران ، المرجع السابق ، ص256

3- الإخوة الزرق: هم جماعة تنصيرية جاءت للمنطقة بعد وفاة الأب فوكو و كانت مهمتها الأساسية هي إستطلاع كل ما يجري في الصحراء ، و قد إشتغلوا في عدة مجالات منها أنهم أشرفوا على محطة الأرصاد الجوية المقامة بجبل الأسكرم تحت إشراف الأخ إدوارد . و من الناحية التنظيمية فإن بعثة الإخوة الزرق بتمنراست هي تابعة لأسقفية الأغواط .

4-عبد السلام بوشارب ، المرجع السابق ، ص125

1901م ، كانت إنطلاقته في مجال التبشير و التنصير حيث أقام بها ديراً له ، و قد كانت له مكانة وسط الضباط الفرنسيين ، و هذا ما يدل على أن السلطات الفرنسية تولي عناية للعمل التنصيري و لرجال التنصير .

إن مشروع التنصير هو ضمن السياسة الإستعمارية التي إنتهجتها فرنسا في الجزائر ، هذا إلى جانب مهمة الجاسوس التي إمتهنها هذا الأب المسيحي لصالح السلطات الفرنسية ، و هو ما يظهر من خلال علاقته بأغلب المسؤولين العسكريين و الضباط السامون خاصة الضابط لابيرين أحد مهندسي التوسع العسكري في الصحراء .

و كذا أن فوكو أتقن اللهجة التا رقية نطقاً و كتابةً ، هذا ما سمح له بإعداد تراجم مختلفة بهدف تقريب المسيحية من التوارق ، كما أنها كانت وسيلة في نشاطه التنصيري ، و ذلك للتقرب أكثر من الأهالي .

خـاتمة :□

خاتمة :

من خلال تتبع تفاصيل سياسة فرنسا التبشيرية في الصحراء الجزائرية خلال الفترة الممتدة من 1830م إلى غاية 1916م يمكن الوصول إلى نتائج و هي :

أن السياسة الفرنسية التبشيرية في الجزائر كانت تهدف إلى القضاء على كل الخصوصيات الإسلامية للشعب الجزائري ، من خلال هدم المساجد و غلق الزوايا و الكتاتيب و تحويلها إلى مراكز إدارية عسكرية و مدنية و محاربة الأئمة و القضاة و المدرسين ، و نفيهم و الزج بهم في السجون ، و التحكم في مداخيل الأوقاف التي كانت بمثابة المدخل الأول و الأساسي للتعليم و المساجد و الأعمال الخيرية ، وبصفة عامة كل المؤسسات التي كانت تساهم في تفعيل المؤسسات الدينية و التعليمية ، و الجانب الآخر من السياسة الفرنسية التبشيرية في الصحراء هو مسح مقومات العقيدة الإسلامية وسط سكان الصحراء مستغلةً سذاجتهم و طيبتهم لكنها فشلت أمام تغلغل الإسلام في وسط هؤلاء البسطاء رغم كل الوسائل و الطرق و حتى الميزانيات المالية التي سخرت من أجل تحقيق مشروع تنصير الجزائريين و إعادة إحياء مجد المسيحية كما كان يحلم **الكاردينال لافيجري** و **الأب شارل دي فوكو** اللذان أفنيا حياتهما في سبيل تحقيق هذا الحلم .

و كما عملت السلطات الفرنسية على إقامة المنشآت و المؤسسات الدينية كاكنائس و الديور و الخورنيات و مؤسسات أخرى سعت من خلالها إلى إرساء قواعد متينة لبعث المسيحية وسط الجزائريين .

إلا أن طبيعة المجتمع الجزائري و تكوينه الإجتماعي و الديني الذي يتنافى و طبيعة و مقاصد السياسة الفرنسية التنصيرية الموجهة إليه ، حيث تجسد هذا الإختلاف في خصوصية التقاليد و الأعراف المستمدة من تراث الأجداد و المرتبط إرتباطاً وثيقاً بالضوابط الإسلامية ، التي تعود في أصلها إلى المدارس الروحية كالمساجد و الزوايا و المدارس القرآنية ، و ما حققه بعض المنصرين ، لا يُعبّر عن الحقيقة ، لأن نشاط الجمعيات التنصيرية إرتكز على إستغلال الأوضاع الإجتماعية المزرية للجزائريين ، و هو الوضع الذي فرضه الإستعمار الفرنسي ، من خلال نهب الأراضي و القضاء على كل الممتلكات الخاصة و العامة ، و بهذا فإن حالات التنصير كانت تعود في أصلها إلى محاولة الفرد الجزائري تجاوز الوضع المزري و لمقاومة مشروع و سياسة التبشير و التنصير وسط

الصحراويين أين أدت الزوايا و المساجد و حتى الطرق الصوفية دوراً كبيراً في تكسير أحلام المبشرين و إفشال مشارعهم التمسيحية ؛ فقد كان الدين الإسلامي بمثابة الدرع الواقي من التفكيك و الذوبان و الإندماج في الكيان الإستعماري .

إن المجهودات الإستعمارية التي كانت تصب في دعم حركة التنصير في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1830م و حتى 1916م ، إصطدمت بواقع تمثل في نشاط المؤسسات الدينية الإسلامية التي حافظت على التماسك الإجتماعي و الديني أمام نشاط الإرساليات التنصيرية التي كانت تمثل وسيلة من الوسائل الإستعمار و التي عملت كل ما بوسعها لإستهداف الأسس الدينية (القرآن ، اللغة العربية) ، للمجتمع الجزائري خلال هذه المرحلة من مراحل الإستعمار الفرنسي للجزائر.

لقد علقت السلطات الإستعمارية آمال كبيرة على هذه السياسة ظناً منها أن ما لم تحققه بالقوة و السلاح يمكن أن تحققه بالطرق السلمية من خلال الأعمال الخيرية و الطب و حتى التعليم للوصول إلى إخضاع الشعب الجزائري و كسبه ، ولو كانت هذه السياسة ستستغرق وقتاً طويلاً ، إلا أنها واصلت المسير قدماً في سبيل إخضاع الأهالي ، لكنها في الأخير إصطدمت بالواقع المر و الأليم في فشل مشروع تنصير الجزائريين و فرنستهم و بالتالي يسهل دمجهم كشعب واحد و تحقيق حلم الجزائر فرنسية .

الملاحق

ملحق الوثـــــــائق

الملحق رقم 01:

التبشير بين الأهالي في القوانين الأسقفية

المادة الأولى : يجب أن يكون التبشير بين الأهالي نصب أعين القساوسة ، و أن لا يتوانوا أبداً في التعجيل بتنصيرهم ، و هي اللحظة المأمول فيها بشدة ، يجب أن يعطوا الأهمية لكل الوسائل المسخرة لهذا الهدف ، الصلوات ، التضحيات ، الأعمال الخيرية ، طرق أخرى ، أمثلة من الفضيلة ، يجب أن يستغل كل شيء لتحقيق هذا الغرض ، يا لها من فضيحة لا يمكن تصحيحها أبداً ، إذا كان الطابع الديني الذي يمجدونه فينا يؤول إلى الزوال ، بوسطة الفهم الخاطئ للشرف الذي نعمل على التحلي به ؟ لن نكف إذا عن الظهور بينهم بإستمرار ، ورعين ، تقاة... لن نتوان عن الإحسان إليهم و نشهد لهم بأننا آسفون لعدم قدرتنا على القيام بأكثر من ذلك إزاءهم .

المادة الثانية : سيسجل الأهالي الفقراء في قوائم المحتاجين ، و التي هي صلب العمل التبشيري الذي بواسطته تعرف يد الإحسان كيف تكتب فيه كل مآسي العقل و القلب قصد الوصول إلى مواساتها كلها .

المادة الثالثة : و بغرض التحضير الأكثر إستعجالاً ، يجب على قساوستنا أن يهتموا بدراسة اللغة العربية ، القرآن ، و مستخدمات و عادات الأهالي ، و ذلك ليستطيعوا التغلغل بسهولة في أذهانهم و الوصول ، عندما تحين الفرصة إلى أن يكشف لهم عن الجانب اللا أخلاقي لمعتقداتهم .

المادة الرابعة : (إذا حانت الفرصة من تلقاء نفسها) أو إذا أمكن خلق هذه الفرص بحذر التحدث معهم عن الدين ، ينبغي العمل بحذر شديد ، على عدم مس أفكارهم المسبقة ، و عدم إرهاقهم بالأسئلة ، و الإجابة عجل على التي يلقونها علينا و الأصغاء إليهم بلطافة ، و أخذ نقطة الإنطلاق معهم ، المعتقدات المشتركة كالخلقي و الروحي و القانون الموسوي ، و رسالة الأنبياء ، و رسالة المسيح ، العرض بدلاً من النقاش ، التكرار بدون تردد ، و بشكل مختصر و برهبة ، إعطاء إسم الإستعارة و إيجاد مغذي روحي للقصص الغريبة و الملفقة للقرآن و الخرفات المحلية...

المادة الخامسة : إن الأطفال ، الأمل المرتقب لمهمتنا عند الفار ليحظون أكثر بالعناية الأبوية ، و سنعمل على جذب الأولاد ، بواسطة وسائل بسيطة ، إلى المدارس أولاً ، ثم إلى الكنائس ، سنبين لهم و بتحفظ كبير ، بأننا نحبهم ، أما البنات الصغيرات فستتولى رعايتهن الخاصة ، المبشرات أو معلمات المدارس.

على القساوسة و الأخوات أن يجمعوا كل من يصادفون من اليتامى أو من الذين تخلي عنهم أولياء أمورهم و أن يرسلوهم ، على حسابنا ، إلى الجزائر حيث نودعهم في المؤسسات الخيرية.

يطلب من كل القساوسة أن ينخرطو في جمعية الدعوة إلى النصرانية ، بين كفار الجزائر و إدخال المؤمنين إلى الخورنياتهم.

المصدر :

القس بونس ، **الكنيسة الإفريقية الجديدة أو الكاثوليكية في الجزائر و تونس و المغرب منذ 1830** ، مطبعة غورس و باسكون و موسكا ، 1830 ،

الملحق رقم 02:

النقاط الأساسية لقانون تسيير فرقة إخوان الصحراء المسلحين:لا يمكن أن أعطي في هذا المقام ، نظراً لطوله النص الكامل لقانون تسيير فرقة إخوان الصحراء المسلحين ، حيث أعمل على تعريفه بتفاصيله ببكرة ، اليوم أريد أن أعطيهم البيانات الأساسية لإستجلاء هذا التحول الذي سيطرأ على حياتهم و لا أكشفهم ، تبعاً لما يقتضيه الأمر ، إلا على النقاط الأساسية للحياة التي يريدون تقمصها .

نشاطات أساسية

1-الطهارة الروحية :إن حياة إخوان الصحراء لها كل شيء نفس الغاية النهائية الأساسية التي تستوجبها كل الجمعيات الدينية : الحياة على الطريقة المسيحية و حتى ببطولة و الإنسياق بواسطة الإمكانيات الشخصية لكل واحد نحو تطوير الأخلاق في هذا العالم لتوفي الجزاء الأبدي في العالم الآخر .

إن إخوان الصحراء ليسوا موجهين لحياة إستثنائية قائمة على التبشير و الصلاة فحسب ، فليس هناك شيء أجل من ذلك ، كونها حياة طاهرة نظيفة تقرب الأنفس من طاعة الله و لكن حياة الإخوان خاصة في هذه الظروف التي تعرف تحركات مريبة يشوبها الإضطراب و الصراع الدائم ، إلا حياة إستثنائية تتناسب معها .

لقطف من هذه الثمار، لابد أن نؤكد على حياة الوحدة و الخلوة ، و هذا ما إتصفت به حياة مشاهير الآباء القدامى بالصحراء الذين إنعزلوا عن العالم ، فالعيش المستمر في كنف الإخوان لا يكفي في وقتنا الراهن فنتيجة جديتهم في العيادة إنعزلوا في صحاري و قفار صعبة و عاشوا لوحدهم في ورع التأمل و العبادة التي تتقطع لسويعات من النوم ، و لكن إذا كان هناك زمان فيه هذه الميولات تتواجد بكثرة ، ففي زماننا هذا ، بالنسبة لنا ، و للجمعيات الحديثة المتهاوية نلاحظ أن ذلك قد ولّى .

إن السكون والتأمل في العبادة ليسا محتملين من قبل المجتمع، فنحن نعرف دينية مولعة بالتأمل كانت تضم في صفوفها مئة عضو، لم يبق في احضانها سوى خمسة لعدم تحملهم هذا الإختبار لكن الملاحظة أن الإنسان في قرارة نفسه يمكنه أن يتطهر بالحركة والعمل مثلما يمكنه ذلك بالتأمل والصلاة خاصة إذا كانت هذه الحركة نشيطة ، تكتنفها فضائل مثل الإحسان، الرغبة في التكفير عن الذنب، التورع عن مفاتن الدنيا حب المجتمع المسيحي، حب العمل، نشوة الحصول مرضاة الله والعباد.

إن كل هذا يشكل هدف إخوان الصحراء المسحيين.

يفهم من هذا تلقائيا من قبل كل مسيحي يعرف تماما مثلما علمته ذلك التعاليم المسيحية التي يتلقاها في صغره، فالإنسان المسيحي خلق واودع هذا الوجود لمعرفة الله ، طاعته والإذعان لأوامره وتجنب نواهيه أملا في الحصول على الحياة الأبدية في العالم الأخر.

2- المساهمة في إلغاء الرق :من الواجب على اخوان الصحراء أن يعتبروا من هذا الهدف بمثابة واجبهم الرئيسي والطابع الذي يميز سيرهم فهم ليسوا مدعوين لتسيير الحملات العسكرية التي تقوم بذلك وفق قرارات الميثاق العام لمؤتمر بروكسل، الفيالق النضامية التابعة للقوى العظمى، إنها مهمة هذه الفيالق في البلدان التي تطارد الإنسان والتي فيها يجب ان تعارض عملية مرور قوافل تجار العبيد.

إن إخوان الصحراء المسلحين ليست لديهم مهمة رسمية في اوساطهم للوصول إلي إلغاء الرق كونها مرتبطة بالسلطة الفرنسية وعلى وجه الخصوص السلطات العسكرية ، ولكنه إنطلاقا من حركة أولية منبثقة من العمل الإحساني بإمكانهم القيام بتحقيق نتيجة كهذه إنها أعمال مسيحية جليلة.

إن الوسيلة الوحيدة الأولى التي بإمكانهم إستعمالها هو إخلاصهم في خدمة ضحايا الرق والذين سيكونون لأمد طويل كثيرون حولهم، حيث أنه سيصبح من الضروري القيام بخدمتهم على أحسن وجه و تعلم لغتهم إن هذا الإخلاص يجب أن يظهر بجلاء لا تشوبه شائبة ريب، بصفة تدريجية حتى يبلغ إمتداد الصحراء التي يقطنها ويعيش فيها العبيد إننا نعلم و نكرر في نفس الوقت أن إخوان الصحراء المسلحين هم الحماة والأصدقاء وبهذه الكيفية تبدأ تطبيقاتهم العملية.

إننا نؤكد أنه عند إخوان الصحراء المسلحين سيجد العبيد الفارين من الملجأ الرعاية والغذاء حتى اخر يوم من حياتهم. إن كسب ثقة العبيد لنا في يوم واحد ولكنها ستشكل بالتدريج. إن ما ينهى هذه العملية هو إقامة مركز لهؤلاء وتوفير عمل يضمن قوت يومهم في المركز الذي يجمعهم فيه ويعيد لهم الحرية والحياة الكريمة. أما العمل الإجمالي فيتولاه إخوان الصحراء، فليس لهم ألا أن يتركوا الرأي العام يناصرهم عملهم ويتابع عملهم النبيل، شيئا فشيئا سيضاعف الخير ويعم في كل مركز من المراكز التي سيمكن للإخوان الإستقرار بها والتي ستكون بمثابة قطرة زيت تتمدد وتتمتع عبر الصحاري.

3- معالجة المرضى :إن العلاج المقدم للعبيد الفارين او المحررين إن كانوا مرضى يعتبر وسيلة ناجعة لربح قلوبهم هناك دائما في كل مركز قاعة خاصة بالتمريض مزودة بالأدوية الأساسية التي تستو جبها معالجة الأمراض الصحراوية يسيرها واحد أو أثنان من الإخوان ومعهم على الأقل طبيب، ويتكفل المركز بتكاليف العلاج إن أضطر الأمر ذلك.

أن مسالة التمريض والإسعاف تقع على عاتق كل الإخوان بالمركز دون استثناء، فمن الواجب أن يكونوا فرحين بإرجاع الحياة المفعمة بالأخلاق المسيحية لهذه المخلوقات التعيسة التي ستنعم بالأمن والحرية.

إن إخوان الصحراء المسلحين يوقنون باستمرار أنه بواسطة الإحسان للمرضى والتواضع للصغار قصد معالجة أسقامهم وجروحهم، فالله تعالى يعالج ويداوي جراح عباده بمعجزات، فلإخوان ليس بإمكانهم إنجاز معجزات خارقة ولكنه بإمكانهم فعل معجزات الرحمة والحب وهذا يكفي.

بإمكاننا أن أضيف في هذا المجال أنه من الواجب على الاخوان القاطنين بهذه المراكز القيام بمهمة تعليم أطفال الصحراء لكنني لن أتعرض لهذه الوظيفة لكونها منوطة بالاباء المبشرين والذي سيحظى باهتمام بليغ كونهم على دراية بالأمر أكثر من إخوان الصحراء نظرا لدراستهم المسبقة في هذا الميدان.

4- العمل اليدوي و بخاصة الزراعي منه و الأعمال الأساسية الأخرى لإقامة مراكز بالصحراء: من خلال المعالم الأساسية المسداة في المقالين السشابقين ، نقول أن أهداف نشاط فرقة إخوان الصحراء المسلحين هو قبل كل شيء بعث الحياة المادية في الصحراء و لتحقيق ذلك سيكون من الواجب على وجه التقريب طلب كل شيء من الأرض نفسها ، إن أعمال فرقة إخوان الصحراء يجب أن يكون لها هدف إيجاد ملجأ لجمعيتهم و لمن سيقيمون معهم ، وسائل العيش في بلد ينقض كل شيء بغض النظر عما يمكن جلبه من السودان و الجزائر .

نبدأ إذن بإقامة كل مركز جديد بالسكن تحت الخيام و من الواجب أن نبني مساكن تتلائم مع مناخ الصحراء ، مساكن ضيقة و متواضعة من الطين المجفف المختلط تماماً بالقش تماماً مثل البيوت التي جاء ذكرها في الإنجيل و التي إستعملها يوسف و سكان مصر ، يضاف إليها مخبأ مخصص يلجأ إليه أعضاء الفرقة في حالة إنذار أو هجوم .

يجب أن يكون عدد من الإخوان مكوناً أثناء فترة تعلم التبشير الإبتدائي على الأعمال الضرورية للبناء ، التجارة ، النجارة ، و غيرها ، في الوقت الذي تقوم فيه مجموعة الحرفيين بعملها تقود مجموعة المزارعين بتهيئة التربة أين تتواجد الماء في أعماق قريبة من السطح ، يعقب ذلك حفر الآبار ، الغرس و البذر و بعدئذ نزرع أو نحصد فكل ما زرع أثبت التجربة نجاحه في مجموع الواحات المتواجدة بالصحراء .

إنه من الواجب إيجاد و خلق كل ما من شأنه لتحقيق الرفاهية الصاعدة : إننا نريد الحديث عن إنشاء واحات النخيل كما أنشاء ذلك سلفاً بالخصوص في(وادي ريغ) مما يسمح بزيادة عدد النخيل التي تسقى بماء منهمر .

إن مسألة التغذية الصحراوية لن تحل بواسطة العمل الزراعي فقط ، فاللحم ضروري تحت سماء موهنة للعزيمة خاصة بالنسبة لرجال يعملون و يكدون ، فسكان الواحات يحصلون عليه بواسطة تربية الحيوانات المتشكلة من قطيع الجمال ، الأغنام و الماعز و لكنهم لا يمدون أيديهم إليها إلا في حالات الضرورة .

أما الوقت المتبقي فيخصص للصيد الذي يضمن لهم اللحم الضروري . إن الصيد مفيد و سهل في الصحراء فالأرانب البرية تتواجد بكثرة ، إضافة إلى الغزلان التي تتواجد جماعات جماعات و اليمام التي تتواجد في فصل معين . إلى جانب جماعة المزارعين و الحرفيين على الإخوان أن تكون لهم فرقة مكونة من رجل أولي تجربة تضاف إليها لهم الصيد إنها فرقة الصيادين .

ينتج من مجموع ما قيل تعداد أقسام الإخوان الذين يشكلون الفرقة المركزية التي عليها واجب تأسيس مركز رئسي خاص بها ، إن عددهم حدد بخمسين أخ و يكون جمعهم 4 أو 5 فرق متبانية العدد فيها ينصب كبار الآباء و الإخوان حسب أهليتهم منهم فرقة :

-الإسعاف تتولى شؤون المرضى و كل ما يتعلق بالنظافة ، الوقاية ، صيانة الملابس ، حسب قوانين الرعاية و الحذر .

-فرقة الحرفيين المكلفة بكل ما يتعلق بالبناء و صيانة البيانات و المخبأ المشترك.

-فرقة المزارعين مهمتها رعاية الأرض ، المياه ، ضمان التغذية اليومية ، فمنهم الخباز الطباخ و غيرهم.

-فرقة الصيادين مكلفين بتوفير الصيد في الصحراء مما يعتبر دعماً أساسياً لقطيع الماشية الذي يوضع تحت رعاية الأهالي المتواجدين بالمنطقة .

إن العمل مقسم إذن بينهم ، مثلما رأينا ، حسب المتطلبات الأساسية لجمعية صحراوية و حسب طاقات و أدوات كل واحد منهم . يمكن إظهارها الميولات و الرغبات الخاصة عن طريق الكتابة لطلب الإنضمام للجمعية و نطلب أن تكون من الأفضل في الفرقة المعينة تبعاً لميولات و معارف خاصة .

5-إستعمال الأسلحة: إنه من الواجب التذكير أنه مهما إنتمينا إلى فرقة ما هناك واجب يُعرض على الجميع يمكن في ضمان الأمن للفرقة و الضالين الذين جمعتهم ضد الهجمات الممكنة لعصابات الصحراء .

إنه يجب القول في هذا المجال كلمة حول المهام العسكرية المنوطة بالإخوة .

إنه من الواجب عليهم حمل و معرفة إستعمال الأسلحة ، البعض منهم يكون قد تكون سلفاً إن كانوا مثلما يُحبّذ في كثير من الأحيان جنوداً قدامى في الجيش إفريقيا ، تأقلموا مع مناخ الصحراء و طريقة العيش في الجنوب الجزائري فهم بذلك سيقدمون خدمات أكبر في صفوف فرقة إخوان الصحراء المسلحين . فلا ننضم

إليها إلا ليعيش حياة شاقة و مسيحية فلا يمكننا و لا نستطيع بطبيعة الحال أن نحافظ أو نتسامح مع عادة تكون مضادة للتعاليم المسيحية .

إذا كان بعض الإخوان يجهلون إستعمال الأسلحة ، سنتولى تعليمهم مبدئياً و سنخصص لذلك الأمر ساعتين كل يوم أحد و كذا في الأيام الحارة من فصل الصيف طوال مدّة التكوين الإبتدائي بمركز الفرقة الرئيسي بهذه المهمة ستوكل إلى نائب القائد العسكري الذي سيأتي الحديث عنه ...

بسكرة في 1 جانفي 1891

المصدر : سعيدي مزيان ،**النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري 1867–1892**

الملحق رقم 03:

عن عدد المعلمين البمبشرين و التلاميذ أثناء السة الدراسية 1876-1877م

المدرسة	عدد المعلمين (المبشرين)	عدد التلاميذ
جمعية الصهاريج	04	125
بني يني	02	30

عدد المعلمين المبشرين و التلاميذ أثناء السنة الدراسية 1877-1887م

المدرسة	عدد المعلمين (المبشرين)	عدد التلاميذ
جمعية الصهاريج	04	189
بني يني	02	29

عن تاريخ تكوين المدارس التبشيرية في الجزائر:

بيانات عن نشاط جمعية الآباء البيض في مجال التعليم التبشيري

الرقم	المدرسة	تاريخ التأسيس	ملاحظة
01	تقمونت أعزوز	1873	أغلقت سنة 1879
02	توريرت عبد الله	1873	
03	أبركانن	1873	
04	بو نوح	1876	
05	واغزن	1876	
06	جمعية الصهاريج	1883	أخليت من طرف الجزويت سنة1880 و أعاد فتحها الآباء البيض سنة 1886 ثم سلموها إلى الأخوات سنة 1887
07	أيت الأربعاء	1883	إستلمها الآباء البيض عن الجزويت
08	أغيل علي	1877	مدرسة بلدية أخليت على أثر ثورة المقراني
09	المدينة(أريس)	1896	لم يعثر الباحث عن تاريخ نشأة هذه المدارس الثلاثة الأخيرة من طرف الآباء البيض
10	واضية	1877	
11	غرداية – ورقلة – القليعة	؟	

المصدر: محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 الى 1904، دراسة تاريخية تحليلية، دار حلب، الجزائر، 2009

ملحق الصور

الملحق رقم 01

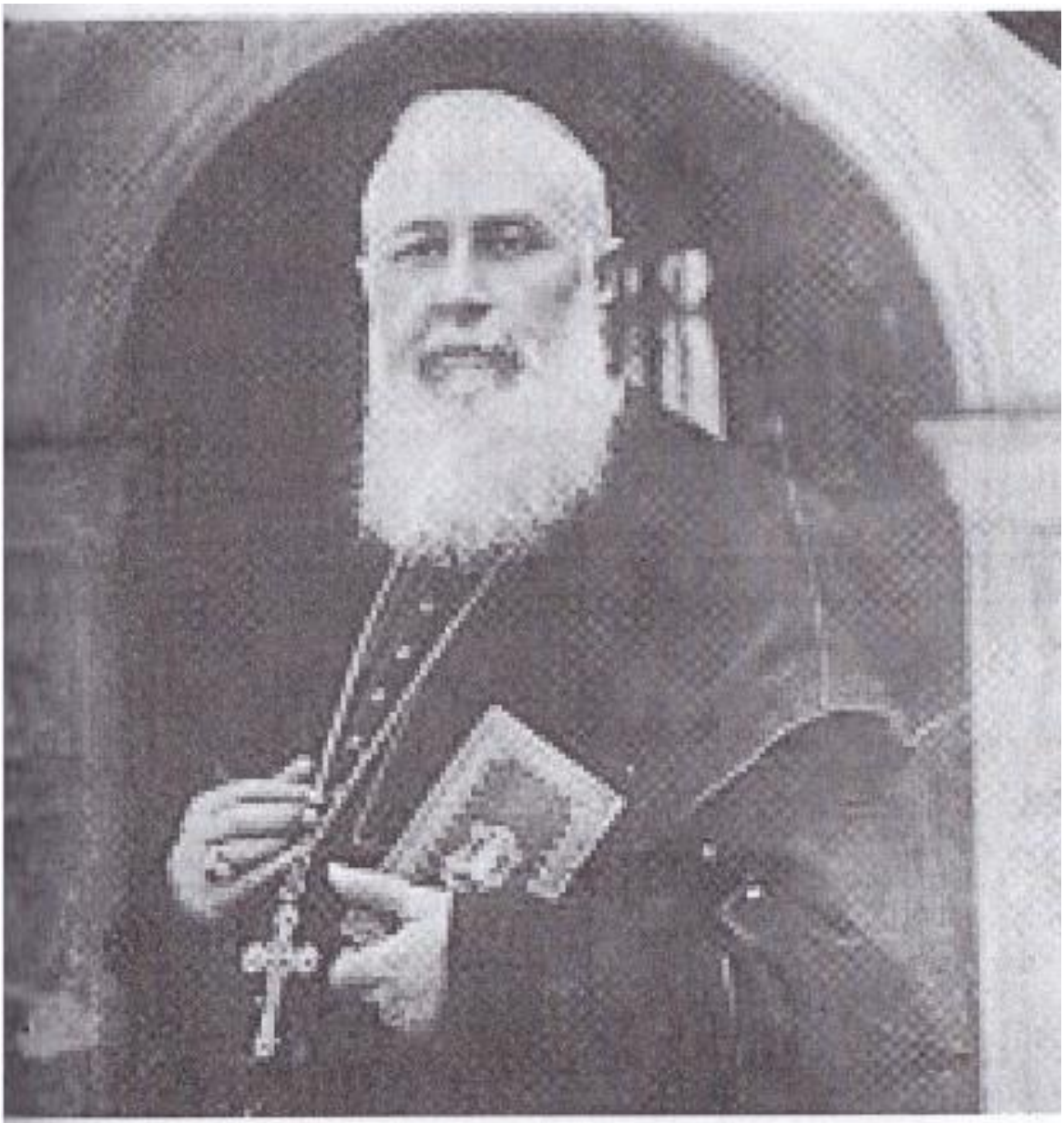

الكاردينال لافيجري في قمة نشاطه التبشيري
(1825 م – 1892 م)

المصدر: سعيدي مزيان ، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر1867-1892م ، ص482

الملحق رقم 02:

صورة بريدية قديمة إبان فترة الإحتلال الفرنسي لمدينة بشار (1321هـ/1903م-1382هـ/1962م)، ويظهر بها أول كنيسة كاثوليكية بمدينة بشار.

المصدر :

عبد الله حمادي الإدريسي ،الإستبصار في تاريخ بشار و ما جاورها من الأمصار ، ملحق الوثائق و الصور ، ج5 ، ص28

الملحق رقم 03:

موسى آق مستان أمبوكال الفقار (من 1902 الى 1921)

المصدر:

عبد السلام بوشارب ، الهقار أمجاد و أنجاد ، ص101

الملحق رقم 04:

صورة الطاغية دو سوسبيل قائد ملحقة زوزفانة بتاغيت ويجنبه المبشر الأب شارل دوفوكو

مصدرها كتاب المنقار لجاك كونديني

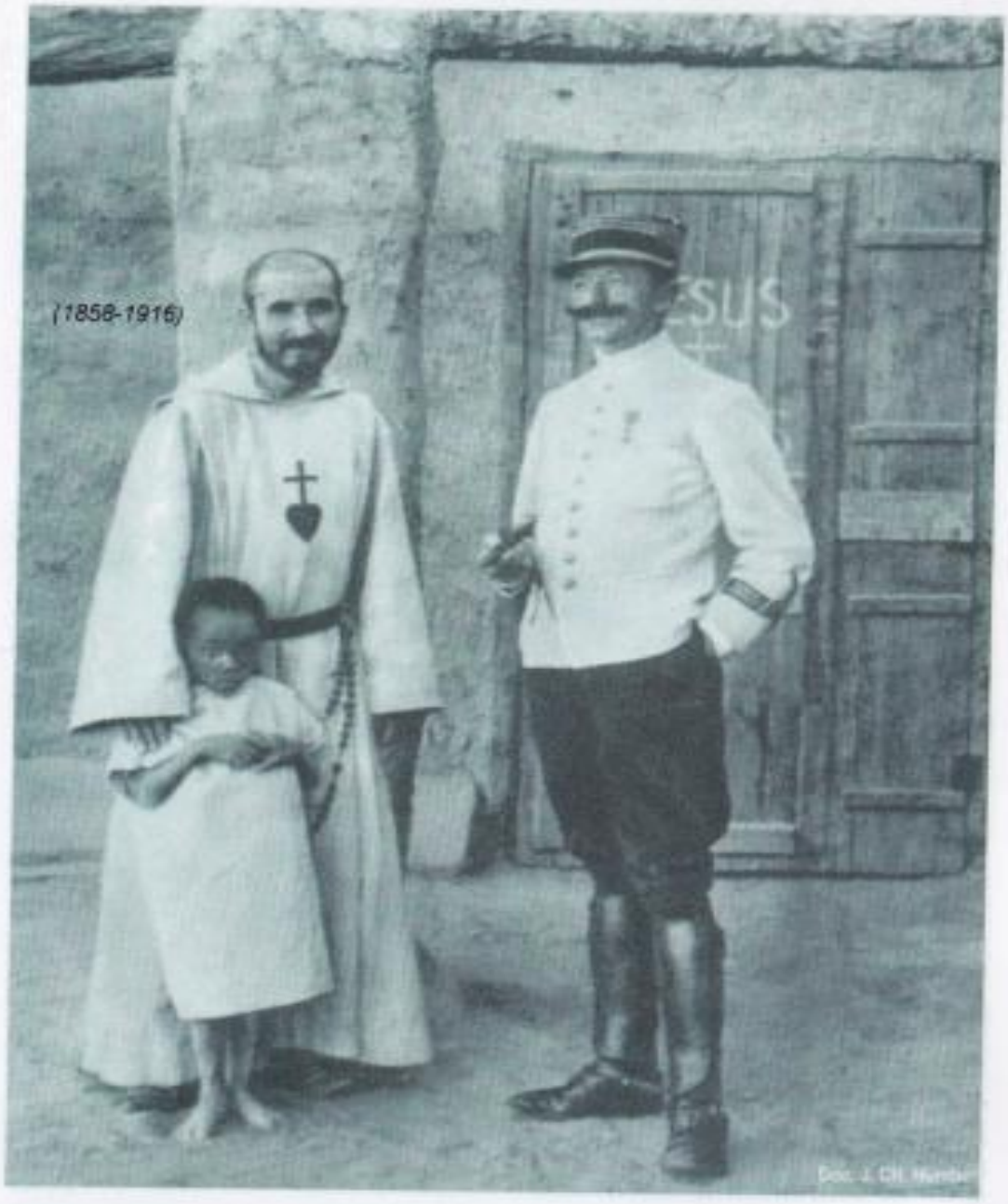

المصدر :

عبدالله حمادي الإدريسي ، الإستبصار في تاريخ بشار و ما جاورها من الأمصار ، ملحق الوثائق و الصور، ص49

الملحق رقم 05:

شارل دي فوكو امام مسكنه ببني عباس

المصدر: عبد السلام بوشارب ، الهقار أمجاد و أنجاد ، ص112

الملحق رقم06 :

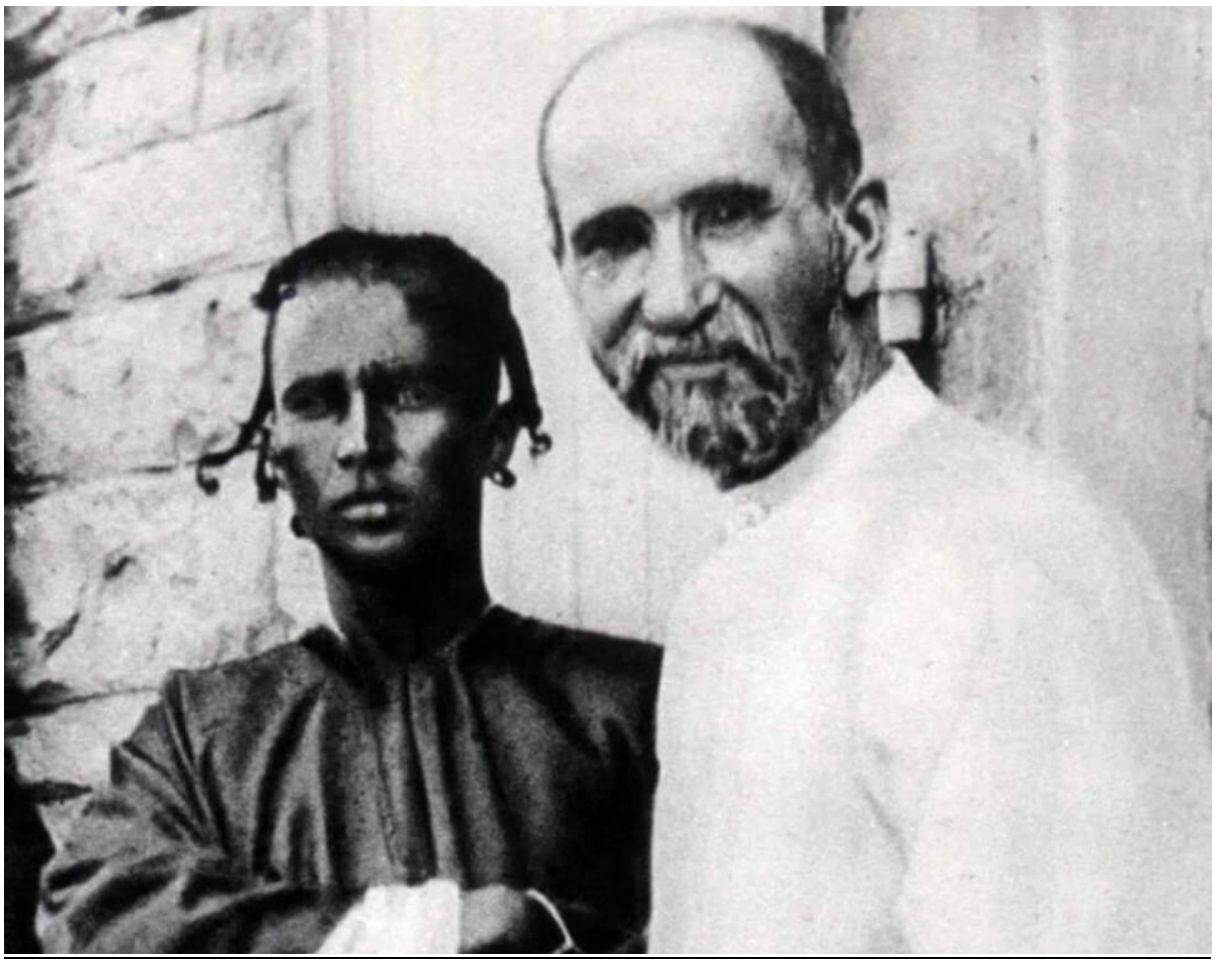

المصدر :

كديدة محمد مبارك ، **النظرة الأنثربولوجيا الفرنسية لنمط الزي و اللباس في الهقار دراسة على أوكسيم أق شيكات عام 1914م** ، مداخلة في اليوم الدراسي لعادات و تقاليد الصحراء الجزائرية من خلال كتابات الرحالة الأوربيين ، المركز الجامعي تامنغست ، أفريل 2015م

الملحق رقم 07:

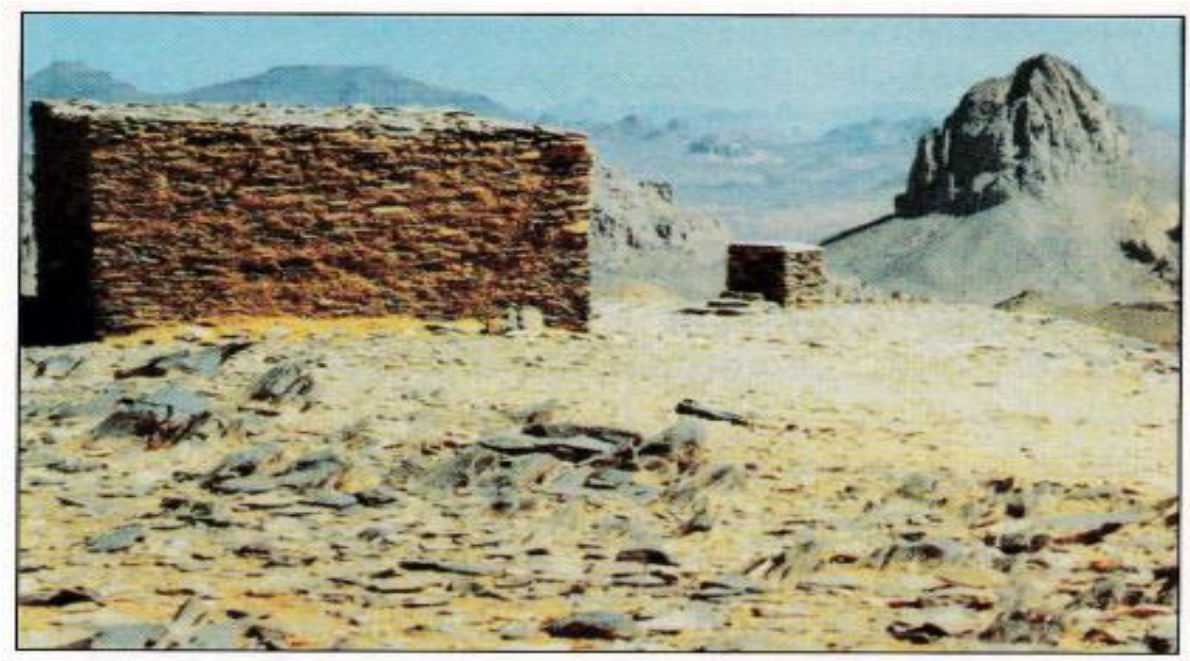

ملجأ دي فوكو . خلوة مناسبة للاتصال والمراقبة ، أطلت بالأمس على السكان المتمركزين حـــــول الاسكـــــرام

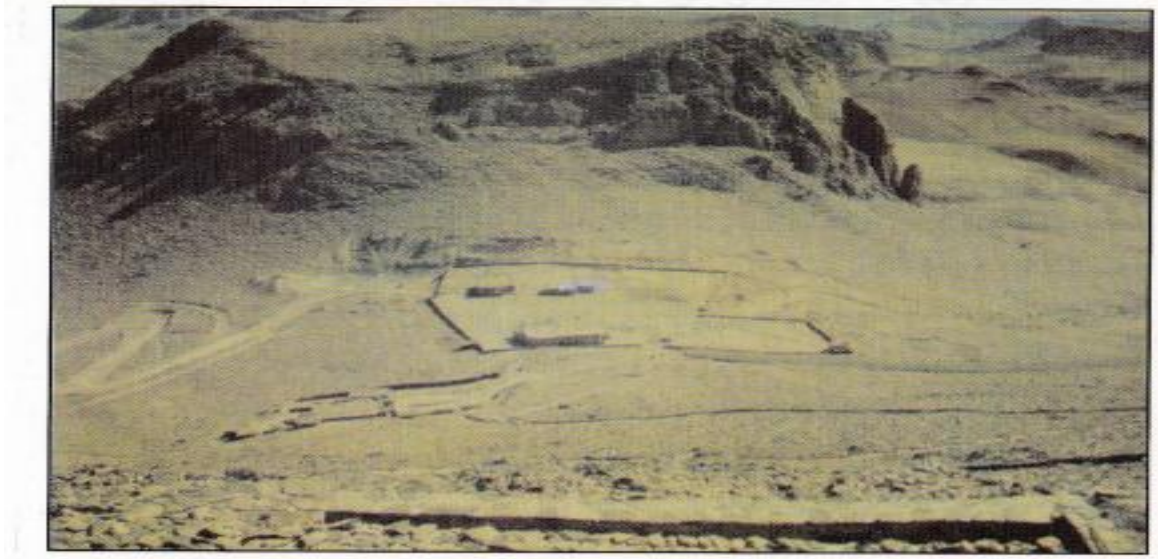

. . وتطل اليوم على زوار الاسكرام الذين يعرجون عليها ضمن مسارهم السياحي

المصدر :

عبد السلام بوشارب ، الهقار أمجاد و أنجاد ، ص128

قائمة المصادر و المراجع :

المصادر :

بالعربية :

01- سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الإحتلال ، ترجمة و تقديم و تعليق ، أبو العيد دودو ، دار هومة ، الجزائر ، 2009.

02- شارل دي فوكو ، رجل يبحث عن الله ، ترجمة داود داود ، مطابع معوشي و زكريا

بالفرنسية :

03- Charles de foucauld , dictionnaire Touareg – Français , dialecte de l'ahaggar , tomepremier , imprimerie nationale de France mdccccli

04- René BAZIN , **Charles De Foucauld explorateur du Maroc Ermite au sahara** ,Plon , Paris ,1921.

05- GRANDIDIER(G) , Note sur Ouksem berbere saharien , Revue d'Ethnographie et de la sociologie , Institut Ethnographique international de Paris , 1914 , n2

06--Mangi (e) , Notes sur l'histoire de laghouat, in revue africaine, n37 ,anne 1893

المراجع :

بالعربية :

01- بقطاش خديجة ، **الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871م** ، دار دحلب ، الجزائر ، 1977م

02- بوشارب عبد السلام ، **الهقار أمجاد و أنجاد** ، المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار ، رويبة ، الجزائر ، 1995

03- جوليان شارل أندري ، **تاريخ الجزائر المعاصر(الغزو و بدايات الإستعمار 1827-1871م)** ، دار الامة ، الجزائر ، المجلد 01 ، 2013

04- حلوش عبد القادر ، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر** ، دار الامة ، الجزائر ، 2010

05- الإدريسي عبد الله حمادي ، **الإستبصار في تاريخ بشار و ما جاورها من الأمصار** ، دار الإبتكار ، الجزائر ، ج3 ، ط1 ، 2013م

06- الإدريسي عبد الله حمادي ، **الإستبصار في تاريخ بشار و ما جاورها من الأمصار** ، ملحق الوثائق و الصور ، دار الإبتكار ، ج5 ، ط1 ، 2013م

07- المدني أحمد توفيق ، **كتاب الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984م

08- سعد الله أبو القاسم ،**الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992م
09- سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م** ، دار البصائر ، الجزائر ، ج6 ، 2007م
10- مالكي أحمد ، **الحركات الوطنية و الإستعمارية في المغرب العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1993م
11- مرموري حسن ، **التوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين** ، منشورات المجلس ، الجزائر ، 2010م
12- مزيان سعيدي ، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892م** ، دار الشروق للطباعة و النشر ، الجزائر ، ط1 ، 2009
13- مياسي إبراهيم ، **الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934م** ، دار هومة ، الجزائر
14- عميراوي أحميدة و آخرون ، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916م** ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2009
15- علالي محمود ، **الحركة الإصلاحية في الأغواط** ، الصندوق الوطني لترقية الفنون و الأدب ، 2008
16- وعلي محمد الطاهر ، **التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م إلى 1904م** ، دراسة تاريخية تحليلية أ دار دحلب ، الجزائر ، 2009
17- ولد الحسين محمد شريف ، من المقاومة إلى الحرب من أجل الإستقلال 1830-1962م

بالفرنسية :

18-George Hirts,Laghouat , les larbàa , les mekhalifs , la zaouia tidjania essai sur évolution sociale et politique de la région de laghouat (ed . marseille 1989)
19-Pirre (D) : main basse sur alger , Edition chihab , alger , 2004

المقالات :

01- أبو عمران الشيخ ، شارل دي فوكو في تمنراست (1905-1916م) ، كتاب الأصالة ، محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر ،ج1 ، ط2 ، 1995م
02- بتقه إبراهيم ، لمحات من تاريخ قبائل الطوارق ، مجلة الدراسات الإفريقية ، مخبر دراسات إفريقية جامعة الجزائر2 ، ع1 ، ماي 2014م
03- بوعزيز يحيى ، إهتمامات الفرنسيين بالتوارق و منطقة الهقار من خلال ما كتبوه ، مجلة الأصالة ، ع72 ، أوت 1979م

04- بوعزيز يحيى ، إهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر و الصحراء ، مجلة الثقافة ، ع57 ، ماي 1980م

05- حباسي شاوش ، من مظاهر الروح الصليبية للإستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962م ، مجلة الدراسات التاريخية ، ع10 ، الجزائر ، 1997م

06- التميمي عبد الجليل ، التفكير الديني و التبشيري لدى عدد من السؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19 ، المجلة التاريخية المغربية ، ع01 ، تونس ، 1974م

07- مقدم عبد الحفيظ ، الحرب النفسية و الإستعمار الفرنسي للجزائر ، مجلة الدراسات التاريخية ، ع10 ، الجزائر ، 1997م

الرسائل الجامعية :

01- قريتلي حميد ، أضواء على التنصير و المنصرين في الجزائر 1830-1892م ، مجلة الدراسات التاريخية ، ع15-16 ، الجزائر ، 2012-2013م

الفهرس العام :

الإهداء

مقـــــــدمة.....أ–و

مدخل تمهيدي: الصبغة الدينية للحملة الفرنسية على الجـــزائر.....**7–11**

الفصل الأول:التبشير الفرنسي في الجزائر و موقف الجزائريين منه.....**12–41**

1–مراحل الحركة التبشيرية.....**13–30**

1-1-المرحلة الأول من1830إلى1845 13-18

1-2-المرحلة الثانية من1845إلى1866.....19-24

1-3-المرحلة الثالثة من 1867إلى1892.....24-30

2– الكاردينال لافيجري و دوره في سياسة التنصير.....**31–37**

2-1-شخصيته.....31-32

2-2-نشاطه.....32-33

2-3-أعماله و إنجازاته.....33-37

3–موقف الجزائريين من الحركة التنصيرية.....**38–41**

3-1-موقف الأعيان ومشايخ القبائل.....38-39

3-2-موقف الزوايا و الطرق الصوفية 40-41

الفصل الثاني : السياسة التنصيرية في الصحراء.....**42–59**

1– البعاثات التبشيرية في المناطق الصحراوية.....**43–48**

1-1– الصحراء الشمالية **43–46**

1-2- الصحراء الجنوبية.....47-48
2- الجمعيات التنصيرية الناشطة هناك.....48-51
2-1- فرقة الاباء والاخوات البيض 48-49
2-2-فرقة اخوان الصحراء.....50-51
3- طرق ووسائل التبشير.....52-59
3-1- التعليم.....52-55
3-2-التطبيب 56-57
3-3-الأعمال الخيرية.....57-59
الفصل الثالث : شارل دي فوكو و نشاطه في أقصى الجنوب.....60-84
1- شخصيته.....61-65
1-1-مولده و حياته.....61-62
1-2-أعماله و إنجازاته.....62-65
2- نشاطه في الصحراء من 1901م.....65-75
2-1-مكوثه في بني عباس.....65-67
2-2- طموحه في المنطقة 67-70
3- إقامته في تمنغست من 1905-1916م 70-84
3-1- مجيئه إلى المنطقة 70-72
3-2- علاقة شارل بالطوارق.....72-75
3-3- نشاطه في تمنغست.....76-84

خـــــــاتمة.....**87-85**

الملاحق **105-88**

- ملحق الوثائق 97-89
- ملحق الصور 105-98

قائمة المصادر و المراجع 108-106

الفهرس 111-109